

المثاقفة بين المسلمين والنصارى في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية 92- 422هـ / 711- 1031م دراسة تاريخية حضارية

بدرية بنت عبدالعزيز بن عبدالله العوهلي*

ملخص

موضوع المثاقفة من الموضوعات الجديدة في التاريخ الإسلامي الأندلسي سعى البحث من خلاله إلى: تسليط الضوء على منهجية الدين الإسلامي، وسماحته؛ مساهمة في درء تهمة الإرهاب عنه، وتأكيد نظرة الإسلام الوسطية إلى الطوائف غير المسلمة، والكشف عن العوامل التي أدت إلى المثاقفة بين المسلمين والنصارى في الأندلس، وتجلية مظاهرها، ومعرفة نتائجها، ورصد عوامل تطور الحياة الثقافية عند النصارى في الأندلس، وأثرها حضاريًا في الأندلس وأوروبا، وفي العلاقة بين المسلمين، والممالك النصرانية المجاورة. ويوضح البحث كيف حقق التعايش السلمي والتبادل المعرفي بين خليط من الشعوب ذات التنوع البشري والفكري والاختلاف الديني، خاصة بين المسلمين والنصارى، حضارة إنسانية عظيمة في ظل المثاقفة؛ وإحياء الدور الحضاري الذي أدّاه المسلمون في بلاد الأندلس؛ سعيًا إلى خلق استراتيجية تساعدنا في استثمار هذه المثاقفة، ورصد تأثيراتها في ذلك الوقت وفي واقعنا اليوم.

الكلمات الدالة: المثاقفة، الترجمة، الثقافة المستعربة، التاريخ الإسباني، الرواية التاريخية والأدبية.

مدخل

مفهوم المثاقفة

تنتم المثاقفة بالحفاظ على هوية كل شعب في ظل الحوار بين الحضارات دون المساس بخصوصية الهوية الثقافية، أو الحضارية، كما لا تدعو إلى كسر الحواجز وإلغاء الخصوصيات الثقافية لكل حضارة مثل الاستعمار، أو العولمة، وهو ما يهدد هوية كل أمة وتراثها التاريخي والحضاري الذي يعتبر جسرًا للتواصل بين الشعوب، وبوابة على ثقافتهم، ويذكر ابن منظور أن المثاقفة من فعل ثقّف، ويقال رجل ثقّف أي حاذق ففهم سريع التعلم، ومنه المثاقفة. وقد عرف العرب قديمًا التثاقف، أو المثاقفة، وأطلقوه على المطارحة في العلم والأدب ومذاكرتهما⁽¹⁾. وورد لفظ المثاقفة عند ابن الخطيب في أكثر من موضع من مؤلفاته منها قوله في إحدى رسائله: "فتعرفت أن بعض ما يتلاعب به بين أيدي الخدام، وتتفكه به المثاقفة والأفدام"⁽²⁾، وقوله: "والفرسان أحلاس الصهوات الذين لا تفضلهم أمة من الأمم في إجادة الرقص، ومثاقفة ميدان السلم،

* كلية العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة شقراء، المملكة العربية السعودية. تاريخ الاستلام: 2019/12/26، تاريخ القبول: 2020/6/2.

(1) ابن منظور: محمد بن مكرم (711هـ / 1311م)، لسان العرب، 18م، طبعة جديدة محققة، دار صادر، بيروت، 2004م، ج3، مادة ثقّف، ص28-29.

(2) المقري: أحمد بن محمد (1041هـ / 1631م)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن

وعريب الكر والفر⁽³⁾، وقال مشيرًا إلى الإعداد الحربي للشباب الغرناطي: "والصبيان تُدرب على العمل بالسلاح وتعلم المثاقفة، كما يعلم القرآن في الألواح"⁽⁴⁾، وهي ما يسمى التلاحح الفكري والعلمي، ويعبر عن المعنى القديم الذي واكب الإنسان منذ قديم الزمن، يدفعه ميل عميق في ذاته نحو التواصل مع الآخرين لمعرفة ما لديهم، والاطلاع على أنماط تفكيرهم، وأساليب حياتهم⁽⁵⁾، وهي: "تبادل ثقافي بين شعوب مختلفة وبخاصة تعديلات تطرأ على ثقافة بدائية نتيجة لاحتكاكها بمجتمع أكثر تقدمًا، أو تأقلم ثقافي يفرضي إلى رفع مستوى فرد، أو جماعة، أو شعب"⁽⁶⁾.

وذكر هيرسكوفيتش Herskovits أن التثقاف يشمل الظواهر التي تنجم عن الاحتكاك المباشر والمستمر بين جماعتين مختلفتين في الثقافة، تحدث تغيرات لدى المجموعتين أو إحداهما⁽⁷⁾. وقد اقتبس مفهوم المثاقفة من علمي الأنثروبولوجيا والسوسولوجيا، وهي مجموعة من الظواهر الناتجة عن احتكاك مستمر ومباشر بين مجموعات أفراد تنتمي إلى ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغييرات في الأنماط الثقافية الأولية لهذه المجموعة أو تلك⁽⁸⁾. وتقوم المثاقفة على أسس التساوي، والاحترام، والاعتراف بالآخر، وحقه في الاختلاف، شريطة التواصل والتفاعل بين المنتاقفين؛ لضمان التقدم والتطور المتبادلين، واكتساب المعارف والعلوم والتجارب والخبرات الإنسانية. وتُعبّر المثاقفة عن عمليات التغيير والتطور الثقافيين التي تطرأ حين تدخل جماعات من الناس تنتمي إلى ثقافتين مختلفتين أو أكثر في اتصال أو تفاعل يتمخض عنه حدوث تغييرات في الأنماط الثقافية الأصلية، أو الأولية السائدة، وتعتمد على رغبة تلك الشعوب في التقارب والحوار والتثقاف، ونخلص إلى أن المثاقفة هي أن يستقي شعب جانبًا من ثقافة شعب آخر عن إرادة مسبقة منه، أو بصورة تلقائية طوعية -وأحيانًا إجبارية- ليضيفه إلى ثقافته الوطنية الخاصة به.

مقدمة:

يعد الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس سنة 92هـ/ 711م حدثًا حضاريًا مهمًا ومميزًا، انبثقت منه حضارة عظيمة أصبحت نموذجًا لتقدم الحضارة الإنسانية؛ إذ تجلت فيها بوضوح مظاهر المثاقفة الناتجة عن تفاعل مباشر بين مجموعات بشرية مختلفة في أصولها، وثقافتها ضمنها بلاد الأندلس آنذاك؛ مما أدى إلى تغيير في الأنماط الأولية لتلك التركيبة السكانية، وأبرز

-
- الخطيب، 8م، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م، ج6، ص413 (نقلًا عن ابن الخطيب)، وجاءت هنا بمعنى أهل الثقافة، راجع تعليق المحقق في ذات الصفحة هامش رقم1.
- (3) ابن الخطيب: لسان الدين (776هـ/ 1376م)، نفاضة الجراب في علالة الاعتراپ، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، دت، ص311، الذي يبدو من خلال السياق أن المثاقفة هنا تعني المباراة.
- (4) العبادي: أحمد مختار، "لسان الدين وكتابات التاريخية"، مجلة عالم الفكر، مج16، (1985م)، ع2، ص31 (نقلًا عن ابن الخطيب). لم نقف على هذا النصف من مؤلفات ابن الخطيب التي بين أيدينا، ومنها: الإحاطة، واللمحة البدرية، وأعمال الأعلام، ولم يشر العبادي في دراسته لأي من مؤلفات ابن الخطيب نهاية هذا النص الذي أورده؛ لذا أحيل عليه.
- (5) زومان: محمد، الترجمة وفعل المثاقفة، جامعة باتنة، الجزائر، دت، ص3.
- (6) المناصرة: عزالدين، المثاقفة والنقد المقارن - منظور إشكالي-، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996م، ص74.
- (7) هيرسكوفيتش، ملفيل (Melville Herskovits)، أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، ترجمة رباح نفاخ، وزارة الثقافة، دمشق، 1974م، ص221، وانظر الدراسات المتعلقة بالهنود التي قام بها هيرسكوفيتش ص305
- (8) بعلبكي، منير، قاموس المورد، دار العلم للملايين، بيروت، 1994م، ص24.

حضارة هي مزيج من الثقافة الإسلامية، والثقافة الإسبانية الأوربية، توفرت لها عوامل ومقومات ازدهرت ازدهارًا هائلًا، تاركة بصمات مشرقة في تاريخ الإنسانية يُعدّ الفصل الأول فيها للعناصر البشرية الإسلامية، التي انصهرت في بوتقة جغرافية واحدة، مشكلة نسيجًا اجتماعيًا متجانسًا كان له دوره في صنعها، وتشكيل ثقافتها رغم وجود الاختلافات الأثنية، والمذهبية، والعقدية، والطبقية؛ فأصبح ذلك مظهرًا من مظاهر قوتها، وساهم في ثرائها، وقد تمتع أهل النمة - وهم اليهود والنصارى - في بلاد الأندلس بمكانة مهمة، وفق منهج إسلامي وسطي سارت عليه الدولة الإسلامية خلال تعاملها مع غير المسلمين من أهل البلاد المفتوحة، حيث نلّس التعايش السلمي بين مختلف العقائد والديانات في الأندلس آنذاك، فلم يغب عن الممارسة السياسية الإسلامية وسطية هذا الدين العظيم؛ إدراكًا منهم للتعددية داخل المجتمع الملازمة للعرمان البشري، فقد تعاملت الدولة الإسلامية مع رعاياها من غير المسلمين وفق الأحكام الخاصة بأهل النمة المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية، متمتعين بكامل حقوقهم الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية، وممارسة جميع أنشطتهم اليومية، ونتج عن هذه السياسة أن انخرطت تلك الفئة مع المسلمين، وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من كيان المجتمع الإسلامي بالأندلس، وأصبح لهم دور فاعل ومساهمة واضحة في بناء الحضارة الإسلامية حيث تبنى عدد منهم العادات والتقاليد، والثقافة الإسلامية، واللغة العربية، ونبغوا في الأدب والعلم، وتقلدوا مناصب رفيعة في الدولة الإسلامية، فكان ذلك الامتزاج ركيزة من الركائز الحضارية في الأندلس، استوفقت عددًا من الباحثين، والمؤرخين العرب، والمستشرقين، الذين تناولوا معالم الحضارة الأندلسية في دراساتهم، وأبحاثهم؛ مما سيثري هذا البحث بإذن الله، ومنها: (تاريخ المستعربين في إسبانيا)، للمستشرق الإسباني سايمونت: حيث تناول الحياة العامة للمستعربين بالأندلس بشكل عام، ودراسة بالنثيا أنخل جنثاليت، (تاريخ الفكر الأندلسي) أورد جوانب من مظاهر التعايش السلمي بين الفئتين، ودوزي رينهارت (تاريخ مسلمي إسبانيا) وهو كتاب في تاريخ مسلمي الأندلس بشكل عام، وليفي بروفنسال (تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح حتى سقوط الخلافة القرطبية) تحدث عن جملة من الأحداث التاريخية خلال عصر الدراسة، وهو من المراجع المهمة، ودراسة عدنان خلف سرهيد الدارجي بعنوان (التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية خلال عصر سلطنة غرناطة 635-897م/1238-1492م) اختصت بدراسة التأثيرات المتبادلة بين المسلمين والنصارى في عصر غرناطة فقط، ودراسة عبد المطلب مصطفى بعنوان (أهل النمة في الأندلس خلال الحكم الأموي)، رسالة ماجستير تطرق فيها الباحث للجوانب التاريخية، والاجتماعية، والاقتصادية بين اليهود والنصارى وبين المسلمين، ودراسة محمد الأمين بعنوان (النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين) رسالة دكتوراه تناول فيها الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية بين اليهود والنصارى، وبين المسلمين، والعلاقات التاريخية السياسية، ووظائفهم، ودراسة محيي الدين صفي الدين (المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس) رسالة ماجستير بجامعة وهران، تحدث فيها عن الحياة الاجتماعية لليهود والنصارى، والعلاقات السياسية بين المسلمين وبينهم، وأثرها على الحالة السياسية للأندلس، إلا أن تلك الدراسات اهتمت بالنواحي السياسية، والاجتماعية، والفكرية، بينما لم تتناول المناقفة بين المسلمين والنصارى وفق منهج مركز، وهو ما ستجلبه هذه الدراسة بإذن الله من مظاهر المناقفة بين المسلمين والنصارى في بلاد الأندلس خلال عصر الدراسة، وجميع هذه الدراسات مع غيرها من المصادر والمراجع ستخدم الدراسة بإذن الله. وتتطلق حدود الدراسة المكانية في الأراضي التي حكمها المسلمون في بلاد الأندلس، أما الحدود الزمانية فهي خلال العصر الأموي؛ حيث شهد تأسيس النظام السياسي الإسلامي القائم على التعايش السلمي، وتجلت فيه بوضوح مظاهر المناقفة بين المسلمين والنصارى في الأندلس، وشكلت مرحلة مهمة لما بعدها من العصور، وتكمن مشكلة الدراسة فيما يشاع عن الدين الإسلامي من عدم قبول الطرف الآخر، والرغبة والهيمنة والاستبداد، وفرض هذا الدين العظيم على الآخرين بالقوة والإكراه، وعدم قبول شرعية الاختلاف؛ لذا

جاء هذا البحث تحت عنوان "المثاقفة بين المسلمين والنصارى في الأندلس"؛ ليؤكد المنهجية الإسلامية القائمة على أصولها في أزهى عصور الدولة الإسلامية بالأندلس، تطبيقاً لقوله تعالى: "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"⁽⁹⁾، وقوله جل وعلا: "وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"⁽¹⁰⁾. ومن أهداف البحث تسليط الضوء على منهجية الدين الإسلامي، وسماحته؛ مساهمة في درء تهمة الإرهاب عنه، وتأكيد نظرة الإسلام الوسطية إلى الطوائف غير المسلمة، والكشف عن العوامل التي أدت إلى المثاقفة بين المسلمين والنصارى في الأندلس، وتجليه مظاهرها، ورصد عوامل تطور الحياة الثقافية عند النصارى في الأندلس، وأثرها حضارياً على الأندلس وأوروبا، وعلى العلاقة بين المسلمين، والممالك النصرانية المجاورة، سعياً لخلق استراتيجية تساعدنا في استثمار هذه المثاقفة، ورصد تأثيراتها في ذلك الوقت وعلى واقعنا اليوم.

ويعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي النقدي، القائم على الاستقراء، واستقصاء النصوص التاريخية المتعلقة بموضوع الدراسة في مضانها من المصادر، والمراجع، والأبحاث جمعاً، وعرضاً، ودراسة، وتحليلاً، واستنباطاً، واستنتاجاً، وسيتناول الموضوع في ثلاثة مباحث، وينتهي بخاتمة يتبعها قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد:

خضعت شبه الجزيرة الأيبيرية قبل الفتح الإسلامي 92هـ / 711م إلى حكم عدة دول إلى أن أصبحت تحت حكم القوط الغربيين (Visigoths)⁽¹¹⁾، وسادت الطبقة التي قسمت المجتمع الإسباني إلى عدة طبقات منها: طبقة الحكام والنبلاء وكبار الإقطاعيين، ومعظمهم من القوط، وهي الطبقة المرفهة التي حظيت على الامتيازات، وطبقة رجال الدين وتشكل منها فئة شاركت الطبقة الأولى في الامتيازات، والطبقة العامة -الوسطى- تكونت من صغار الملاك والتجار والمزارعين الذين أنهكتهم الضرائب فيما بعد. والطبقة الدنيا -الرفيق- وكانت أكثر عدداً من الطبقات السابقة، وأقل حقوقاً، مما جعلهم يترقبون الفرصة للخروج من معاناتهم. وطبقة اليهود، وفيما بعد اضطهدهم ملوك القوط بتأييد من رجال الكنيسة المتعصبين للكاتوليكية، مما دعا هؤلاء إلى التفكير في التخلص من اضطهاد القوط لهم⁽¹²⁾، نتج عن ذلك مجتمع مضطرب، تنهشه الخلافات العرقية والدينية، وهو ما آلت إليه إسبانيا، وأصبحت مهياًة للفتح الإسلامي سنة 92-95 / 711-714م، وبعد الفتح الإسلامي تكون المجتمع الأندلسي من عناصر مختلفة تنوعت في أصولها البشرية وعقائدها وثقافتها، فقد بدأت الأندلس باستقبال واحتواء موجات العرب، والبربر مع انطلاق عمليات الفتح الأولى التي قادها طارق بن زياد 92هـ / 711م⁽¹³⁾، ويمكن استعراضهم حسب ما يلي: المسلمون ومنهم:

(9) سورة البقرة، الآية 256

(10) سورة الكهف، الآية 29.

(11) نسيم، جوزيف، تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984م، ص 69-93.

(12) دوزي، رينها، المسلمون في الأندلس - المسيحيون والمولدون، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

1998م، ج1، ص 27-30، العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة، بيروت، د.ت، ص 94-50، سالم، السيد

عبدالعزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة، بيروت، 1988م، ص 63-65.

(13) مجهول، أخبار مجموعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1989م، ص 17، ابن عذاري: أبو

عبدالله محمد المراكشي (بعد 712هـ / 1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان

وليفي بروفنسال، بيروت: دار الثقافة، ط5، 1998م، ج2، ص 6، وانظر ص 4-5، ابن خلدون، عبدالرحمن (808هـ /

العرب: ينقسم العرب إلى قسمين هما: العرب البلديون⁽¹⁴⁾ وهم الذين شاركوا في الفتح الإسلامي للأندلس، والعرب الشاميون ومعظمهم من العرب القيسيين الذين دخلوا الأندلس بعد الفتح سنة 125هـ/742م⁽¹⁵⁾، وفي هذا الصدد يقول دوفورك: أن "الدولة التي انبثقت عن الفتح كانت فسيفاء من مجموعات سكانية مختلفة تتساكن جنباً إلى جنب، ولا يمكن التفريق بينها إلا من خلال الديانة المعتنقة"⁽¹⁶⁾، والموالي: دخل موالي بني أمية الأندلس⁽¹⁷⁾، مشكلين قوة بالتفافهم حول عبدالرحمن بن معاوية 138-172هـ / 756-788م⁽¹⁸⁾، والصقالبة: وهم الرقيق المستجلبون من الشمال⁽¹⁹⁾، والبربر: دخلوا الأندلس من المغرب وأفريقية وكان لهم دور مهم في فتح الأندلس⁽²⁰⁾، استكثر منهم خلفاء بني أمية، واعتمدوا عليهم في جيوشهم⁽²¹⁾، وهناك المسالمة: وهم جماعة الإسبان الذين تركوا الدين النصراني، واعتنقوا الدين الإسلامي من أهل البلاد الأصليين؛ بسبب سياسة التسامح التي انتهجها الفاتحون بعد الفتح، ولم يفرض الفاتحون المسلمون عليهم الدخول في الإسلام بالقوة والقهر⁽²²⁾، والمولدون: هذه الفئة نتاج زواج المسلمين

- 1405م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 2م، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 2003م، مج1، ص1515.
- (14) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة4م، تحقيق محمد عبدالله عنان، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م، ج1، ص102
- (15) ابن القوطية، أبوبكر محمد (367هـ / 977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1989م، ص40، ص43، ابن الخطيب، اللحة البدرية في الدولة النصرانية، صححه ووضع فهرسه محب الدين بن الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1929م، ص16
- (16) Duforcq, C.E., **La vie quotidienne dans l'Europe Medievale sous Domination Arabe**, Biarritz, 1981, p. 36
- (17) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص40، مجهول، أخبار مجموعة، ص17، Lévy-Provençal, **Histoire de L'Espagne Musulmane**, Paris, 1951, Tome 3, p. 172.
- (18) الحميدي، أبو محمد بن أبي نصر فتوح الأزد(488هـ / 1095م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تحقيق روحية السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، ص15، وانظر سالم، تاريخ المغرب والأندلس، ص126
- (19) أصلهم أسرى الجيوش الجرمانية في حروبها مع السلافيين، ثم حملوا إلى الأندلس وبيعوا فيها، وكان أغلبهم يؤتى بهم صغاراً ويبرون تربية عسكرية ويديرون على الخدمة في القصور. المقري، نفع الطيب، ج1، ص145، وللإفادة راجع المسعودي، أبو الحسن علي(346هـ / 956م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر4م، تحقيق قاسم الرفاعي، دار القلم، بيروت، 1989م، ج2، ص249، مصطفى، خزعل ياسين، الصقالبة الخصيان في الأندلس عصري الإمارة والخلافة، ع20، حزيران، مجلة آداب الفراهيدي، الموصل: كلية التربية، (2014م)، ص414-439.
- (20) مجهول، أخبار مجموعة، ص17، وانظر ص43، ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، صص4-6، ابن خلدون، العبر، مج1، ص1515.
- (21) مجهول، أخبار مجموعة، ص43، المقري، نفع الطيب، ج1، ص159.
- (22) Provençal, **Histoire de L'Espagne Musulmane**, Tome 1, p. 73. ويرجح مؤنس أن أغلبيتهم من العبيد ورقيق الأرض الذين وجدوا في الإسلام مخرجاً من المتاعب التي أثقلتهم، مؤنس: حسين، فجر الأندلس، الدار العربية، جدة، 1985م، ص430

من الفتيات الإيبريات⁽²³⁾ فخرج لنا جيل ممتزج الدماء سموا بالموالدين⁽²⁴⁾، أما غير المسلمين فمنهم: النصارى: وهم نصارى الإسبان والبرتغال الذين فضلوا البقاء على نصرانيتهم ومبادئهم القديمة، ودخلوا في ذمة المسلمين، وعاشوا في كنفهم وتحت حمايتهم، وتكلموا العربية وأجادوها، لذا يطلق عليهم مسمى (المستعربون Mozarabes) ويعتبر مصطلح المستعربون مصطلحاً استشرافياً حديثاً، استخدمته المصادر النصرانية منذ القرن الحادي عشر الميلادي للتفريق بين النصارى الذين بقوا على ديانتهم وخضعوا للحكم الإسلامي، عن الذين عاشوا في الممالك النصرانية الشمالية ولم يتأثروا بالحكم الإسلامي، أما اللفظ Mozarabe فهو مشتق عن الأصل العربي مستعرب (Mustarab)، وهو الذي يتحدث اللغة العربية ويتعاطى الثقافة والتقاليد العربية، وهو في الأصل أجنبي من نسب أعجمي، وتسميهم المصادر الإسلامية: نصارى، روم، عجم، أهل ذمة، معاهدين، أهل الكتاب.. وغيرها⁽²⁵⁾، واليهود Jews وقد عرفوا عبر مر العصور بتسميات عدة، وتسمية يهودي تأتي في ترتيبها التسمية الثالثة بعد مسمى (عبري) و(إسرائيلي)⁽²⁶⁾. هكذا تميز المجتمع الأندلسي ببناء مكوناته السكانية مع اختلاف أصولها ومشاربها، انصهرت في ثقافة واحدة يحيطهم التسامح الديني، والتعايش السلمي، وسيتم تناول هذا الموضوع من خلال المحاور التالية:

أولاً- عوامل المثاقفة بين المسلمين والنصارى في الأندلس:

أشارت بعض المراجع التاريخية الأندلسية إلى أنه لم يكن هناك ملامح للحياة الفكرية والثقافية في الأندلس خلال الفترة الأولى للفتح الإسلامي لإسبانيا⁽²⁷⁾، بل "إن الشعب الإسباني الذي دخل في طاعة المسلمين نتيجة لهذا الفتح لم يخلف لنا آثاراً تدل على حياته الفكرية طوال عصر الولاة 95-138هـ/714-755م، ذلك أن الظروف التي أحاطت به لم تكن مواتية لشؤون الدرس والفكر، فقد شغل الفاتحون بما وقع بين بعضهم وبعض من مخاصمات وحروب.. ثم إن الفاتحين جميعاً كانوا من المحاربين؛ وهذا وحده يكفي لتعطيل انصرافهم عن الآداب والفكر⁽²⁸⁾". وفي الواقع أن هذه عبارات مجانية للصواب، لأن الشواهد في المصادر الأندلسية تقدر في هذه الأحكام القطعية، فحكم الفقيه ابن حزم أدق وأصح، إذ يتحدث عن شعراء هذه الفترة وأنهم حملوا شعرهم معهم، وأن الشعر يجري على كل لسان؛ فيذكر أنهم لو أنصفوا لاستشهد بشعرهم لأنهم يجرون على طرائق القدماء⁽²⁹⁾، كما أن الأمير عبدالرحمن الداخل (138هـ-172هـ/756-788م) الذي أمضى عمره في حروب وتأسيس إمارة وصلتنا أشعاره في وصف النخلة والحنين إلى

(23) شبه الجزيرة الإيبيرية تضم إسبانيا والبرتغال؛ لذا تقتضي الدقة أن نسميهم الإيبيريات.

(24) راجع مجهول، أخبار مجموعة، ص27، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص37.

(25) مؤنس، فجر الأندلس، ص424-428، Isidor de las Gagigas, **Los Mozarabes**, Madrid, 1947, tome I, p. 56.

(26) خليفة، محمد، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء، القاهرة، ط1، 1998م، ص29، حمدان: جمال، اليهود أنثروبولوجيا، دار هلال، القاهرة، 1996م، ص54-55، وانتشر اليهود في معظم المدن الأندلسية، وتمتعوا بتسامح كبير في ظل الحكم

الإسلامي، راجع ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص12، سالم، تاريخ المسلمين، ص133

(27) راجع مثلاً هيكل، أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1964م، ص60-61.

(28) بالنتيجة، أنخل جنتالث. تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1955م، ص1

(29) ابن حزم، أبو محمد علي (456هـ/1063م)، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1987م، ج2، ص187، المقري، نفع الطيب، ج3، ص177، والرسالة كاملة ص158-179.

المشرق⁽³⁰⁾، فالحروب والفتن -للأسف- قد تكون محركات الإبداع، والأندلس خير مثال⁽³¹⁾، بالإضافة إلى أن في تلك العبارات إضعافاً لدور الفاتحين الذين خلفوا لنا أكبر قيمة معنوية، وأهم أثر وهو نشر الدين الإسلامي، وكان هدفهم سامياً لله تعالى وإعلاء كلمته؛ لذا كرسوا وقتهم وجهدهم، وبنلوا أرواحهم لتحقيق هذا الهدف، وهي مسؤولية جسيمة صرفت همتهم عن أي هدف سواه، وفي مقدمتهم يطالعنا - على سبيل المثال لا الحصر - موسى بن نصير، وعقبة بن نافع الذي قال بعد أن أتم الله عليه فتح بلاد المغرب وهو يخوض البحر المحيط حتى بلغ الماء بطن فرسه: يارب! لولا أن البحر منعني لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك مدافعاً عن دينك مقاتلاً من كفر بك⁽³²⁾، وقد لمس أحد قادة النصارى - يدعى تدمير - القيم السامية التي كان يحملها أولئك القادة الفاتحون الأوائل وروحهم المعنوية العالية، وقوة همتهم فكتب رسالة إلى لذريق قال فيها: "إنه نزل بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء هم، أم من الأرض"⁽³³⁾.

ومع مرور الزمن تأصلت هذه الروح المعنوية عند مسلمي الأندلس؛ إذ أصبح قادتها يرون أن هذا الأمر من أهم مسؤولياتهم، حتى وإن كان خارج بلاد الأندلس، فقد ذكر المؤرخون أن موسى بن نصير - رحمه الله - لما قفل من الأندلس: "أنزل الرابطة والحامية بثغورها، واستعمل ابنه عبدالعزيز لغزوها وجهاد أعدائها"⁽³⁴⁾، وفي عصر الولاة (95-138هـ/714-755م) استمر المسلمون على نشاطهم وهاجسهم منصرف في ميدان نشر الدعوة، فشملت مناطق مختلفة من البلاد الأندلسية، وهو ما أشار إليه صاحب أخبار مجموعة بقوله: "وكان من وصفنا من الولاة يجاهدون العدو، ويتوسعون في البلاد، حتى بلغوا إفرنجة، وحتى افتتحت عامة الأندلس"⁽³⁵⁾، وعلى الرغم من ظهور بعض مظاهر الضعف المعنوي التي طرأت على المسلمين آنذاك منذ وجودهم على أرض الأندلس، وهي الحروب بين المسلمين من العرب والبربر، والمسلمين من عرب الشمال وعرب الجنوب، مما أدى إلى تعطل عمليات الفتح، وإتاحة الفرصة للبذور الأولى للدويلات النصرانية التي استفادت فيما بعد من الفرقة هناك، وثبتت أقدامها في بعض الأماكن⁽³⁶⁾، إلا أننا لا يمكن أن نتجاهل دور المسلمين خلال عصري الفتح والولاة. وقد استمر الوضع إلى أن دخل الأمير عبدالرحمن الداخل (138هـ-172هـ/756-788م) الأندلس وبدأ عصر الإمارة 138-316هـ/756-929م؛ حيث ظهرت مجموعة من العوامل التي كان ساهمت في المواقفة بين المسلمين والنصارى، وكان لها دور كبير في

(30) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 15-16 وفي ترجمة الحميدي له ذكر أنه من أهل العلم وأورد أبياتاً من شعره.

(31) في فترة حوادث الفتنة البربرية (399-422هـ/1009-1031م) والفترة التالية لها خلال عصر ملوك الطوائف (422-484هـ/1031-1462م) شهدت الأندلس ازدهاراً في حقول المعرفة لم تعرفه من قبل، وقد وصف المقري أهل الأندلس بعلو الهمم، وفصاحة الألسن، راجع: المقري، نفع الطيب، ج 1، ص 3.

(32) ابن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج 4، حققه وضبطه بشار عواد ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 1، 2013م، ج 1، ص 52، السحبياني، حمد بن صالح، "الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم عصر ملوك الطوائف في الأندلس أنموذجاً"، سلسلة المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، (1423هـ/2002م)، ص 7.

(33) المقري، نفع الطيب، ج 1، ص 240، السحبياني، الضعف المعنوي، ص 7.

(34) ابن خلدون، العبر، مج 1، ص 1515، وانظر السحبياني، الضعف المعنوي، ص 8.

(35) مجهول، أخبار مجموعة، ص 31.

(36) السحبياني، الضعف المعنوي، ص 8.

انتعاش النواحي الثقافية والفكرية في المجتمع الأندلسي منها ما يلي:

- الاستقرار السياسي الذي شهدته بلاد الأندلس بدخول الأمير عبدالرحمن الداخل 138-316هـ/756-929م؛ حيث تمكن من القضاء على الاضطرابات الداخلية والثورات التي اندلعت ضد حكمه، واستطاع توحيد الأندلس تحت راية الأمويين هناك، ثم جهوده الحثيثة للاستقلال بالبلاد سياسياً عن المشرق الإسلامي، والحد من تأثير الزعامات القبلية العربية باعتماده على عناصر غير عربية من موالٍ، ومولدين، وبربر وغيرهم.

- الاهتمام والعناية الخاصة التي وجهها حكام البيت الأموي، وتشجيعهم المستمر على طلب العلم والتعلم بكافة الطرق، حيث أرسل الأمير عبدالرحمن بن الحكم (206-238هـ/792-852م) الشاعر الراوي الفقيه عباس بن ناصح الثقفي، إلى العراق لالتماس الكتب القديمة، فأناه بكتاب السند هند وغيره، وأعتبر أول من أدخلها الأندلس، وعزف الناس بها (37)، كما شجع أمراء وخلفاء البيت الأموي كل وسائل العلم والمعرفة.

- نشاط الرحلة خارج الأندلس وداخلها من أجل طلب العلم، أو القيام بالحج، ساهم ذلك إلى حد كبير في إثراء المعرفة والفكر، وامتزاج الثقافات، فرحل المسلمون للحج باتجاه الحجاز مروراً بالبلاد العربية التي ينهلون من علمائها في طريق رحلتهم للحج، ثم يعودون وهم يحملون التنوع الفكري والمعرفي؛ مما كان له أثره في نشاط الحركة العلمية والحضارية، أما النصارى فإن الحج إلى قبور القديسين وزيارة المزارات الدينية من الطقوس المهمة لديهم في الأندلس، ومن أشهرها "شانت ياقب" Santiago في جليقية شمال الأندلس كنيسة عظيمة مبنية على جسد يعقوب الحواري (38)، وليس المقصد من ذكر حج النصارى هنا موازاته مع الرحلة الأندلسية للحج، بل لإبراز دور المسلمين في التأثير على النصارى الذين يستلهمون بعض تلك الطقوس الدينية، وهو ما علق عليه كاسترو بقوله: "إن العقيدة الشعبية بوجود قبر الأخ المسيح في جليقية ربما كانت لا تزدهر دون محاولة غمر إسبانيا بالإسلام، إن الغزو الإسلامي جاء وإسبانيا المسيحية معزولة تماماً عن باقي الأراضي المسيحية، وكانت الحيرة تحيط بالناس وهم يتساءلون: كيف يمكن إعادة المسيحية في طليطلة؟.... ويمتد هذا الاعتقاد الشعبي في أوروبا ومن قبلها إسبانيا لتصبح سلطة "شانت ياقب" هي السلطة الأولى في أوروبا خلال القرون الوسطى بلا منازع..نشده شيئاً مثيراً يفيد تحول شنت ساقب إلى كعبة تشبه في قداسها كعبة الإسلام، إليها يهرع المسيحيون من أقاصي الأرض (39)". والمتأمل لعبارات كاسترو السابقة يلاحظ أنها تهدف لإبراز مجموعة حقائق منها: محاكاة "شنت ياقب" لكعبة المسلمين من خلال الحج والرحلة إليها من

(37) ابن الفرضي، أبو الوليد (403هـ/1012م)، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس 2م، صححه عزت العطار، مكتبة الخانجي، مصر، ط 2، 1988م، ج 1، ص 340-341، ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي (658هـ/1249م)، الخلة السيرة 2م، تحقيق حسين مؤنس، ج 1، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1985م، ج 1، ص 48، ابن سعيد: أبو الحسن علي (685هـ/1286م)، المغرب في حلي المغرب 2م، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1964م، ج 1، ص 324، عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، : دار الثقافة، بيروت، ط 1، 1969م، ص 61

(38) الإدريسي، أبو عبدالله محمد المسعودي (559هـ/1165م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق 2م، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1989م، ج 2، ص 728، ابن عذاري، البيان المغرب، تحقيق بروفسال، ج 2، ص 294، الحميري: أبو عبدالله محمد (900/1495م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، 1984م، ص 348.

(39) كاسترو، أميريكو، حضارة الإسلام في أسبانيا دراسة تاريخية مقارنة في اللغة والأدب والسير الذاتية، ترجمة سليمان العطار، الدار الثقافية، القاهرة، ط 1، 2000م، ص 45

أنحاء العالم المسيحي، كما أن مدينة "شنت ياقب" أصبحت عاملاً يربط بين الإسبان والعالم المسيحي، كما أتاحت للإسبان النصارى الاتصال بأوروبا، والعالم المسيحي الخارجي من خلال وفود الحجاج إليها⁽⁴⁰⁾، هذا وقد حج نصارى الأندلس إلى بيت المقدس منتهزين فرصة دخولهم في ظل الدولة الإسلامية⁽⁴¹⁾.

- العلاقات الاجتماعية مع طوائف المجتمع الأندلسي المختلفة ومنهم النصارى، نتج عنها:

أ- **الزواج من النصرانيات**⁽⁴²⁾: يعد الزواج من العوامل الاجتماعية التي ساعدت على المثاقفة والاندماج الفكري بالأندلس بين المسلمين والنصارى؛ حيث دخل المسلمون إلى الأندلس فاتحين ولم يكن معهم نساؤهم، وبعد أن استقر الوضع لجأوا إلى مصاهرة سكان البلاد من النصارى، ولا يمنع الدين الإسلامي ذلك، واستمرت العديد من الزوجات النصرانيات في ممارسة شعائرهن الدينية دون أي مضايقة من الأزواج المسلمين، فتزوج عبدالعزيز بن موسى بن نصير من ايلونا Egilona أرملة لذريق، وتسميتها المصادر الإسلامية أم عاصم⁽⁴³⁾، وفي عصر الإمارة ولد الأمير هشام الرضا 172-180هـ / 788-796م، لأم إسبانية⁽⁴⁴⁾، وكان الخليفة عبدالرحمن الناصر 300-350هـ / 912-961م حفيداً للأميرة نافازية هي أونفا Oniga، ابنة فرتون غرسية Frotun Garcia 870-905م ملك نفارة وتسميتها المصادر الإسلامية دُر، أما أمه اسمها مزنة⁽⁴⁵⁾، وتزوج الأمير الحكم المستنصر من صبح البشكنسية أم الخليفة هشام المؤيد 366-400هـ / 976-1010م⁽⁴⁶⁾، وتزوج تمام بن عامر النقي من أم الوليد النصرانية⁽⁴⁷⁾، وتزوجت سارة القوطية ابنة ألمند بن غيطشة من عيسى بن مزاحم، وينحدر المؤرخ ابن القوطية من نسلهما⁽⁴⁸⁾، وتزوج ملك نفارة ونقة بن ونقة Inigi Inguez من أرملة موسى بن فرتون أمير الثغر الأعلى⁽⁴⁹⁾ وتزوجت جميلة أخت محمود بن عبدالجبار البربري⁽⁵⁰⁾ من أحد حكام جليقية

(40) كاسترو، حضارة الإسلام، ص 46-47

(41) مؤنس، فجر الإسلام، ص 507

(42) يحرم الإسلام زواج المسلمة من النصراني، ولا يعني ذلك عدم وجود حالات زواج النصارى من مسلمات، منها مصاهرة بين أسرة بني قسي وبين حكام مملكة بنبلونة عندما تزوجت أرملة موسى بن فرتون بن قسي - والدة موسى بن موسى القسوي - من أحد أمراء نبرة ويدعى (أنجو) أو (ونقة) ت 205هـ / 820م، وأثمر هذا الزواج عن فرتون وونقة وغرسية إخوة موسى بن موسى لأمه. راجع العذري: أحمد بن عمر (478هـ / 1086م) **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**، (جمع وتحقيق عبدالعزيز الأهواني)، معهد الدراسات الإسلامية مدريد، د.ت، ص 29-31.

(43) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 37، المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 243-244

(44) ابن عذاري، البيان المغرب، تحقيق بروفنسال، ج 2، ص 61، المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 334

(45) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 18، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج 1، ص 181-186، ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2، ص 151

(46) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 21، ابن الأبار، الحلة السيرة، ج 1، ص 200-205

(47) وهو أحد النقباء بدولة عبدالرحمن بن معاوية، توفي سنة 283هـ / 897م، ابن الأبار، الحلة السيرة، ج 1، ص 143، بالنشيا، تاريخ الفكر، ص 603.

(48) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 30-31

(49) تولى ولاية الحدود الشمالية وهي مدينة سرقسطة وأعمالها، انظر الحميري، الروض المعطار، ص 317.

(50) تولى قيادة البربر في ثورتهم ضد حكم عبدالرحمن الأوسط قُتل سنة 225هـ / 840م، ابن حزم، طوق الحمامة في الألفه

أجبرها على التنصر وأنجبت منه ولدًا أصبح فيما بعد أسقفًا على مدينة شانت ياغب Santiago، وأصبحت هذه الظاهرة منتشرة بين العامة (51)، هكذا امتزج الدم المسلم بالإسباني، ونتج عن ذلك صفات جسمية جديدة كلون البشرة، وزرقة العينين، ومن الطبيعي أن يكون لهذه المصاهرات دورٌ في المثاقفة حيث أن من تعلمن من النصرانيات اللغة العربية نقلن الثقافة العربية، والتقاليد الإسلامية مستخدمات لغتهن في نقل الإرث الحضاري الإسلامي إلى محيطهن بما فيه من ألفاظ، وأزياء، وعادات وتقاليد إسلامية وحضارية، وكذلك العلوم والمعارف.

ب. الصداقة: تعايش جميع سكان الأندلس تحت ظل الحكم الأموي في جو يسوده نصيب وافر من التسامح والمساواة، والاحترام لفكر الطرف الآخر، فتجاوروا في السكن دون قيد أو شرط، وتعمقت العلاقات الاجتماعية والصداقات، ويشير ابن الخطيب إلى تميز الصداقة التي نشأت بين أرطباس بن غيطشة قومس الأندلس Comes، وبين أمراء وحكام المسلمين؛ حيث أشار على أبي الخطار حسام بن ضرار بتفريق الجند في الكور خوفًا من صدامهم مع الجند البلديين (52)، وكان القاضي سعيد بن محمد صديقًا لربيع بن توديلفو القومس، وأميرًا لعهدده وأمانته (53).

ولقد دخلت العديد من الأسماء والألقاب الإسبانية إلى اللغة العربية مثل "فرتون" Fortunio، "أب" Lope، "وقسي" Kesi، وغيرها، وتلقب عبدالرحمن بن الحاجب المنصور بن أبي عامر باسم سانشويلو Sanchuelo أي سانشو الصغير تخليدًا لذكرى جده والد أمه سانشو غرسية حاكم نفرة Navara الذي عرف في المصادر الإسلامية باسم شنجول (54)، وأضاف العرب المسلمون إلى أسمائهم المقاطع الإسبانية مثل (الواو) و(النون) للتكبير مثل: خلدون من خالد، وحمدون من حامد، وحفصون من حفص (55)، هذا وشمل التأثير الملبس والمأكل (56)؛ فبسبب التعايش بين المسلمين والنصارى تأثر كل منهم بالآخر؛ وانتقلت العديد من العادات والتقاليد والطقوس بينهما، حيث تشارك المسلمون والنصارى في الاحتفال بالأعياد وشاركوهم طقوسهم الدينية (57)، واستمرت التأثيرات المتبادلة بين الطرفين في تجانس واحترام متبادل.

-
- والآلاف، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1987، ج1 ص92، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق عبدالسلام هارون، دار المعارف، مصر، ط3، 1991م، ص500-501.
- (51) انظر المراكشي، عبدالواحد بن علي (647هـ / 1294م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، (وضع حواشيه خليل عمران المنصور)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص28
- (52) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص103
- (53) الخشني: أبو عبدالله محمد (361هـ / 971م)، **قضاة قرطبة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1989م، ص90-91
- (54) ابن عذاري، البيان المغرب، تحقيق بروفنسال، ج3، ص38
- (55) كحيلة، عبادة، **تاريخ النصارى في الأندلس**، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، ط1، 1993م، ص32
- (56) ابن الإخوة: محمد بن محمد بن أحمد القرشي (729هـ / 1329م)، **معالم القرية في أحكام الحسبة**، تحقيق روبن لبوي، مطبعة دار الفنون، كمبرج، 1937م، ص3.
- (57) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص21

ثانياً - مظاهر المثاقفة بين المسلمين والنصارى في الأندلس:

أ. الثقافة المستعربة:

ظهر تيار الاستعراب في الثقافة الأندلسية نتيجة تأثر النصارى بالفكر والثقافة العربية نتيجة مخالطة ومعايشة النصارى مع العرب المسلمين؛ فأخذ المستعربون عن العرب لغتهم العربية وآدابها، وتولعوا بالشعر العربي نظماً وإلقاءً، لأنهم شربوا من مناهل الثقافة العربية واستعملوا لغتها، وتأثرت حياتهم الاجتماعية بالإسلام ونظمه تأثراً بعيداً، وكانوا يؤثرون استعمال لغة العرب وأسمائهم وأزيائهم، ويجتهدون في أن يأخذوا الطابع الإسلامي في كل مناحي حياتهم⁽⁵⁸⁾.

حلت اللغة العربية محل اللغة اللاتينية في مختلف نواحي الحياة، وبدأ الإهمال يتطرق إلى لغة الدين النصراني، يقول توماس: "إن اللغة اللاتينية بلغت في بعض أجزاء إسبانيا درجة كبيرة من الانحطاط، حتى لقد أصبح من الضروري أن تترجم قوانين الكنيسة الإسبانية القديمة، والإنجيل إلى اللغة العربية، ليسهل استعمالها على النصارى⁽⁵⁹⁾"، وهو ما تحسر عليه ألبرو القرطبي Poul Alvaro⁽⁶⁰⁾ سنة 240هـ/854م في وثيقته "الدليل المنير" Indiculus Luminosus التي كتبها باللغة اللاتينية ووردت في الكتاب الموسوعة "إسبانيا المقدسة" قائلاً: إن إخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين، ليكتسبوا أسلوباً عربياً جميلاً صحيحاً... يا للألم! لقد أنسى النصارى حتى لغتهم.. فأما عن الكتابة في لغة العرب فإنك واجد فيهم عدداً عظيماً يجيدونها في أسلوب منمق، بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فناً وجمالاً⁽⁶¹⁾". وأصبحت اللغة العربية هي المتداولة حتى وجد الكثير من الكتب اللاتينية التي كتبها المستعربون تحمل هوامشاً وشروحاً وتعليقات عربية، وقد عُثر على شواهد قبور لنصارى كتب عليها بالعربية، أو بالعربية واللاتينية معاً⁽⁶²⁾، ويوجد مخطوط محفوظ في المكتبة الأهلية بمدريد يضم مجموعة من القوانين والقرارات الكنيسية مرتبة أبواباً على حسب الموضوع، مترجمة من اللاتينية إلى اللغة العربية بقلم قس يسمى بنجنيسيس يسمى في المصادر الإسبانية EI Presbtero Vicente⁽⁶³⁾.

وتجلت آثار مظاهر المثاقفة في الدور الذي قام به المستعربون في نقل التأثيرات العربية الإسلامية إلى أوروبا، إذ قام المستعربون بترجمة قانون الكنيسة، ونقلوا الأناجيل الأربعة ومزامير داود إلى العربية، كما كان لهم دور كبير في نقل الحضارة العربية إلى إسبانيا النصرانية، وتوالت الهجرات منذ الفتح إلى الأراضي والممالك النصرانية في الشمال، وهو ما ساعد على نقل الحضارة الإسلامية والتعريف بها ونشرها في إسبانيا والعالم الأوربي، ونتيجة لذلك ظهرت حركة اجتماعية

(58) بالنشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص485

(59) توماس، أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم وآخرون، مطبعة النهضة، مصر، ط3، 1970م، ص160

(60) كاهن متعصب من عائلة متعصبة للنصرانية، شغل أخوه الأصغر يوسف إحدى وظائف الدولة عند الأمير عبدالرحمن الأوسط، راجع الحايك، سيمون، عبدالرحمن الأوسط، المطبعة البوليسية، بيروت، د-ت، ص169، خيسوس: ماريما، متى،

روبير، الأدب الأندلسي، ترجمة أشرف دعدور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999م، ص19

(61) بالنشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص485-486

(62) كحيلة، تاريخ النصارى، ص116-117

(63) بالنشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص486.

ثقافية دينية متطرفة اجتاحت العاصمة الأندلسية قرطبة خلال الفترة 236-238هـ / 850-852م وهي فترة المستعربين⁽⁶⁴⁾. ومن مظاهر التعايش والتثاقف التي تأثر بها المسلمون وأخذوها عن النصارى، استراحتهم يوم الأحد؛ يقول ابن حيان: "وكان أول من سن لكتاب السلطان، وأهل الخدمة تعطيل الخدمة يوم الأحد من الأسبوع، والتخلف عن حضور القصر قومس بن انتيان كاتب الرسائل للأمير محمد 238-273هـ / 852-886م، وكان نصرانياً...فتبعه جميع الكتاب طلباً للاستراحة من تعبهم..ومضى إلى اليوم عليه⁽⁶⁵⁾"، كما اقتبس المسلمون التقويم اليولياني نسبة إلى الإمبراطور يوليوس قيصر، وأرخوا به أعمالهم ومناسباتهم وينظمون بها أمور حياتهم، حيث تشير الدراسات أن المؤرخ ابن حيان استعمل هذا التقويم في تاريخه⁽⁶⁶⁾. ويخبرنا المؤرخ الإسباني المعاصر كاسترو عن تأثر النصارى بالمسلمين في غسل الموتى، وتغطية وجه المرأة بين النساء الإسبانيات، وكثير من عادات تأسيس البيوت عربية الأصل، وبقاء كلمات المجاملات الإسلامية العربية كقول: "تفضل" يقولها مجاملة صاحب الشيء إذا أعجب هذا الشيء شخصاً آخر وأبدى إعجابه به، وكدعوة الحضور - دون قبول منهم بالطبع - إلى الطعام من الشخص الذي يتناوله أينما كان، وهذه العادة تنتشر بصيغ مختلفة في كل أقاليم شبه الجزيرة، أيضاً نرى ترديد عبارة "إن شاء الله" ترافق كل وعود الإسبان تماماً مثل ترديدهم أقوال شبيهة بعبارة "إلى الغد"، وهذه العبارات إسلامية بديل عدم وجودها في اللغات اللاتينية الأخرى بجانب صعوبة ترجمتها حرفياً إلى هذه اللغات، حتى ترديد كلمة "الله" في إسبانيا يبدو مسرفاً جداً إذا قارنا معجمين للغة الإسبانية والفرنسية، ويستنتج أميركو كاسترو أن كلمة: ! Ole للإعجاب والاندهاش والتشجيع تأتي من استعمال مثل لكلمة "الله" الإسلامية، وعبارات التحيات وصيغ التعبير عن الاحترام في الإسبانية كلها تقريباً تضم كلمة "الله"، ويستعمل المستعربون بكثرة عبارة "الله يحفظك"، "الله يحميك"، كما يردد الفلاحون عبارة "A la paz de Dios" مترجمة حرفياً للتحية الإسلامية "السلام عليكم"⁽⁶⁷⁾.

ب. ازدواجية اللغة:

ازدواجية اللغة نتجت عن حركة الاستعراب السابقة وهي من آثار المثاقفة المهمة التي عادت على سكان المجتمع

(64) تزعمها راهب يتحدث العربية ويحفظ القرآن كان حانقاً بسبب إقبال الشباب المسيحي على تعلم اللغة العربية والدخول في دين الإسلام يُدعى إيلوخيو Eulogio، وصديقة بول الفارو Poul Alvero بهدف إقناع الشباب المسيحي بالعزوف عن الثقافة العربية وفنونها وأدبها المختلفة، وحملهم على قراءة الأدب اللاتيني كبديل أساسي، ومن ثم القيام بمناهضة الوجود الإسلامي في الأندلس ورفض التعايش معه في بلد واحد، وتعتبر هذه الحركة فتنة قام بها بعض المتطرفين أرادوا خلق اضطراب الصف الأندلسي الداخلي وزعزعة وحدته، وكانوا يؤمنون بأنهم يحملون رسالة مقدسة، فيقتل الواحد منهم شخصاً ممن اعتنق الإسلام، أو يذهب إلى مكان عام ويحرق القرآن ويسب الرسول صلى الله عليه وسلم علناً، فيساق إلى القاضي الذي يقنعه بالعدول عن أقواله أو إعدامه فيفضل الإعدام، وقد راح ضحيتها عدد كبير من الرهبان والراهبات، وانتهى الأمر بأن أمر الأمير محمد بن عبدالرحمن الثاني بتطبيق حكم الشرع في إيلوخيو سنة 245هـ / 859م. راجع: العبادي: أحمد مختار، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة، بيروت، د.ت، ص144-148، لين بول: سناتلي، قصة العرب في إسبانيا، ترجمة علي جارم، دار المعارف، القاهرة، 1960م، ص79.

(65) ابن حيان، أبو مروان (469هـ / 1076م)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق محمود مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973م، ص138

(66) كحيلة، تاريخ النصارى، ص174-175

(67) كاسترو، حضارة الإسلام، ص35-36

الأندلسي داخلياً وأصافت له خارجياً؛ حيث أكد الإسباني خوليان ريبيرا أن أهل الأندلس كانوا يستعملون عدة لغات في حياتهم اليومية العلمية والعملية، وهي:

- اللغة العربية الفصيحة التي استعملت كلغة رسمية للتخاطب في المدارس، وكتابة وثائق ومراسلات الدولة الرسمية. يقول رينو: لم يذكر التاريخ رجلاً مسيحياً لأوائل الفتح الإسلامي أتقن العربية غير هارتموت في ق9م ولم يبدأ أباًؤنا بتعلم اللغة العربية إلا أيام الحروب الصليبية للاطلاع على لغة قوم استولوا على جانب من بلادهم، فكانوا يذهبون إلى إسبانيا ليتعلموا العربية إلى جانب اللاتينية⁽⁶⁸⁾.
- اللغة اللاتينية الفصيحة التي استعملت في نطاق محدود من قبل رجال الدين الإسبان بسبب حاجتهم لقراءة تراثيل الإنجيل والعهد القديم وغيره.
- لغة من اللاتينية الدارجة أو الرومانثية Romance استعملت في الحياة اليومية والشؤون العامة، وهي خليط بين العربية واللاتينية، أطلق عليها مؤرخو الأندلس الأعجمية أو اللطينية، وانتشرت بين العامة بصورة كبيرة.⁽⁶⁹⁾ أدى هذا الاختلاط بين اللغات المستعملة في الأندلس، إلى أن دخلت العديد من الكلمات الأعجمية واللاتينية إلى اللغة العربية، وكذلك دخلت للموشحات الأندلسية والأزجال، وامتزجت الأزجال والقطع الموسيقية والشعر الغنائي متأثرة بالطابع الأندلسي الإسلامي في كل من إنجلترا، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا⁽⁷⁰⁾. وحسب المستشرق بيدال فقد انقسمت إسبانيا في عصرها الإسلامي إلى شطرين بينهما اختلال كبير في توازن القوى، فالشطر الشمال تمكن منه التدهور العام الذي شمل العالم الروماني في الغرب منذ انزاله ولم يعد له اتصال بالعالم الإغريقي، في حين أن الأقاليم الجنوبية ازدهرت وشاركت فيما بلغته الثقافة العربية من ازدهار، تلك الثقافة التي استكملت مقوماتها بما استعارته من الشعوب التي تمثلتها، وكانت قبل تنتمي إلى الامبراطورية الإغريقية والبلاد الممتدة عند نهر الهندوس⁽⁷¹⁾.

ج- الترجمة:

من أهم مظاهر المثاقفة في الأندلس حركة الترجمة؛ كنتيجة طبيعية وتلقائية للتبادل الثقافي بين الأندلس والحضارات الأخرى، وكان انتقال العديد من الكتب والمخطوطات القيمة من وإلى الأندلس قد استلزم ضرورة ترجمتها وتعريبها ليسهل الاستفاح بها وقراءتها. وكان للنصارى دورٌ مهمٌ في مجال الترجمة، وذلك لإتقانهم اللغة العربية إلى جانب اللغات الأخرى كاللاتينية والعبرية وغيرها، وبناءً على طلب الخليفة عبدالرحمن الناصر 300-350هـ/ 912-961م حضر الراهب نيقولا سنة 340هـ/ 951م ليساعد في ترجمة كتاب ديسقوريدس Dioscorides⁽⁷²⁾، وكان

- (68) حمودة، علي محمد، تاريخ الأندلس السياسي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1957م، ص98
- (69) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص142، أبو دياك: صالح، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الكناني، إريد، 1987م، ص109، الأوسي، حكمة علي، فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، 1971م، ص30
- (70) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص614-619.
- (71) بيدال، رامون منندث، "إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام"، ترجمة لطفي عبدالبيديع، : مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، رئيس التحرير علي سامي النشار، مدريد، (1953م)، ع1، س1، ص3
- (72) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد (668هـ/ 1270م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص494، بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص463

لترجمة هذا الكتاب أثر بالغ في الأندلس؛ حيث ظهرت موجة من الحماس بين سكان الأندلس فأقبلوا على دراسة الطب والنباتات الطبية متخذين منه مصدرًا لهم، كما كان "كتاب التواريخ السبعة للرد على الوثنيين Histoire de libri Septemadversos paganos" للراهب الروماني بولوس هيروسيوس Paulua horosius من أهم الكتب التي تمت ترجمتها عن اللغة اللاتينية للغة العربية زمن الخليفة عبدالرحمن الناصر 300-350هـ / 912-961م⁽⁷³⁾، ونقله للعربية قاضي النصارى في الأندلس الوليد بن الخيزران المعروف بابن المغيث، وهو تاريخ للدنيا منذ آدم إلى سنة 416م ألفه في سنة ونصف، وقد لقي هذا الكتاب إقبالًا شديدًا وأصبح مصدرًا مهمًا ومعتمدًا للناس فيما يكتبون عن العصور القديمة⁽⁷⁴⁾، يقول رينو: "وفي سنة 1142م أكمل بطرس رئيس دير كلوني أول ترجمة لاتينية للقرآن، على أننا لانتشك في أنه أول دخول العرب إلى فرنسا، كانت اللغة العربية معروفة فيها⁽⁷⁵⁾".

د. الإقبال على التعليم والتعلم:

وجه الأمراء والخلفاء الأمويون اهتمامًا ملحوظًا كان له أثر بالغ في إقبال معظم الناس على التعليم من مختلف الطوائف الدينية ذكورًا وإناثًا، كما كان للاستقرار السياسي الذي شهدته الأندلس خلال الحكم الأموي أهمية كبيرة في انتشار التعليم وطلب العلم، وقد أمر الخليفة الحكم المستنصر 350-366هـ / 961-976م أن يتم تعليم أولاد الفقراء والضعفاء في قرطبة على نفقته الخاصة، وأنشأ سبعة وعشرين مكتبًا لهذا الغرض⁽⁷⁶⁾ مما جذب كثيرًا من المسلمين، والنصارى، واليهود ليس من إسبانيا وحدها، بل من أنحاء أوروبا وآسيا، وكان الراهب جيربرت Gerbert الذي أصبح فيما بعد بابا باسم سلفستر الثاني Pope Sylvester II خلال الفترة 390-394هـ / 999-1003م أحد الوافدين إلى مسجد قرطبة لتلقي المزيد من العلوم هناك⁽⁷⁷⁾، وبرز عدد من علماء النصارى في الأندلس لهم إنجازات علمية أضافت للحضارة والفكر الأندلسي.

وتعد مهنة الطب من المهن التي احترف فيها كثير منهم، فأخذ العديد من حكام البيت الأموي أطباء خاصين منهم، وقد اتبعوا الأساليب العلمية معتمدين على مؤلفات الرومان واليونان القديمة، وأصبحت كتبهم مرجعية مهمة في الطب، وكان يعول في الطب بالأندلس على كتاب مترجم من النصارى، وهو كتاب منقول عن اللاتينية يسمى الفصول أو المجموع Aforismos⁽⁷⁸⁾، وأشهر من برع منهم في الطب: جواد الطبيب: طبيب نصراني من أهل

(73) ترجمته في ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص181-186

(74) منهم مؤرخي وجغرافي الأندلس مثل: الرازي 344هـ / 955م، العذري 478هـ / 988م، البكري 487هـ / 1094م، ابن حيان 496هـ / 1079م، وغيرهم. مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مبدولي القاهرة، ط2، 1986م، ص18-20، فيرنيت، خوان، فضل الأندلس على ثقافة الغرب، نقله من الإسبانية نهاد رضا، دار إشبيلية، دمشق، ط1، 1997م، ص116.

(75) حمودة، تاريخ الأندلس السياسي، ص98

(76) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص240، وراجع دوزي، المسلمون في الأندلس - تاريخ مسلمي إسبانيا، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، 1963م، ج2، ص67، هونكه، زغريد، شمس العرب تسطع ع الغرب، تعريب فاروق ببيضون وكمال الدسوقي، دار الآفاق، بيروت، ط8، 1986م، ص500

(77) الحجى، عبدالرحمن، أندلسيات، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1969م، ج2، ص157.

(78) ابن جلجل، أبوداود سليمان بن حسان (ت بعد 377هـ / 987م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، المعهد

قرطبة، عاش زمن الأمير محمد الأوسط 238-273هـ/852-886م، كان طبيباً ماهراً ومتمرساً⁽⁷⁹⁾ ومنهم يحيى بن اسحق: طبيب نصراني عالم حاذق، عاش زمن الأمير عبدالرحمن الناصر 300-350هـ/912-961م، وتقلد مناصب مختلفة في الدولة، له عدة مؤلفات قيمة⁽⁸⁰⁾، **وخالد بن يزيد بن رومان**: طبيب نصراني برع في الطب وعلم الأدوية، وكسب منه أموالاً وعقارات، وخلفه ابنه **يزيد بن خالد بن زومان** في مهنة الطب⁽⁸¹⁾، **وابن ملوكة**: طبيب نصراني، برز في أيام الأمير عبدالله 275-300هـ/888-912م، وأول عهد عبدالرحمن الناصر 300-350هـ/912-961م⁽⁸²⁾، وقد مر بنا الراهب الروماني باولوس هيروسيوس Paulua horosius الذي ترجم المسلمين كتابه من اللاتينية للعربية، وهو من أصل روماني، ولد ونشأ في إسبانيا، وفيها تلقى علوم اللاهوتية، كتب رسالته المسماة كتاب المديح Apologeticus Cantra Pelagium، ثم كتب كتابه "كتاب التواريخ السبعة للرد على الوثنيين Histoire de libri Septemadversos Paganos"⁽⁸³⁾، وبرز حفص بن ألبير القرطبي Hafs b. Alber من نسل وقلة بن غيطشة⁽⁸⁴⁾، حيث تجلّى أثر المتأقفة فيما برز فيه حفص الذي قال عنه القرطبي: "علم يا هذا، أن هذا القس- حفص- هو من أكيسهم وأفصحهم.. قد نشأ في ذمة المسلمين وتعلم من علومهم ما فاق به النصارى أجمعين، ومع ذلك فإذا أخذ يتكلم في علوم النصارى وأحكامهم تلجلج لسانه وقصر بيانه، لأنه ينزل على آرائهم الفاسدة وتحكماتهم الباردة"⁽⁸⁵⁾، له مؤلفات عديدة وله شعر نظم في مزامير داود عليه السلام⁽⁸⁶⁾. والأسقف ربيع بن زيد Recemundo يعرف في المصادر الأجنبية باسم ريكوموندو وهو من أبرز الشخصيات العلمية في الأندلس،

العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م، ص93.

(79) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص93.

(80) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص100، ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق شالميتا، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979م، ج5، ص103، ص182

(81) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص96، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص485-486

(82) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص486

(83) مؤسس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص18-19.

(84) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص31، وانظر بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص485.

(85) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن فرج الأنصاري (ت671هـ/1273م)، **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام**، تحقيق ودراسة فايز سعيد صالح عزام، رسالة دكتوراه في العقيدة الإسلامية، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، فرع العقيدة، 1405هـ/1985م، ص847، **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام**، تحقيق أحمد السقا، مطابع دار التراث العربي، القاهرة، 1980م، ج4، ص422-423، وورد نفس النصفي كتاب القرطبي: **نقض كتاب تثليث الوجدانية في معرفة الله- نموذج لعلم العقيدة والكلام عند مالكية الغرب الإسلامي**، دراسة وتحقيق يوسف الكلام ونادية الشراوي، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، 2012م، ص314-315، وفي هذا الكتاب نسب المحقق كتاب التثليث هذا لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، وهو ما نفاه محققا كتاب الإعلام المشار إليهما أعلاه. انظر: الإعلام، تحقيق فايز سعيد ص11 وما بعدها، وتحقيق السقا، ص5-6.

(86) يوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم Bit 1994، وأخرى محفوظة في مكتبة أمبروسيه في مدينة

ميلانو الإيطالية تحت رقم IX Teologia Gristiana n86

وأحد كبار رجال الدين النصراني في بلاط الخليفة عبدالرحمن الناصر 300-350هـ/912-961م وابنه الحكم المستنصر 350-366هـ/961-967م الذي عينه أسقفًا لمدينة ألبيرة مقابل جهوده التي قدمها لخدمة الدولة الأموية، أتقن اللغة العربية بصورة أثارت استغراب الأسقف يوحنا أسقف مدينة جورسه Gorze في ألمانيا، شغل مناصب دبلوماسية للبلاط الأموي حيث كان سفيرًا للناصر إلى هوتو الأول الإمبراطور الألماني⁽⁸⁷⁾، برع في علم الفلك، له كتاب "تفاصيل الأزمان، ومصالح الأبدان"، وكتاب "تقويم قرطبة"، ترجمه إلى اللاتينية بعد قرنين من الزمان جيراردو الكريموني تحت عنوان "كتاب الأنواء"⁽⁸⁸⁾.

ثالثًا: المثاقفة في المجال الإداري والتنظيمات الدينية:

ترك المسلمون للنصارى نظامهم المدني الذي كان سائدًا وفق شريعتهم، خاصة مجموعة القوانين التي ترجع إلى عهد القوط، فأصبح ذلك مظهرًا أساسيًا من مظاهر التسامح الذي لم تعرفه الأندلس في زمن من الأزمان، حيث انتهج الأمير عبدالرحمن الداخل 138-172هـ/756-788م في عصر الإمارة 138-316هـ/756-929م سياسة سار عليها من خلفه من أمراء وحكام البيت الأموي بالأندلس في تعاملهم مع أبناء الطوائف المذهبية، اعتمد على المساواة، والعدل، والتسامح الديني⁽⁸⁹⁾، واستمر الحال إلى ما بعد عصر الخلافة 316-422هـ/929-1030م، وتمتع النصارى في ظل الحكم الإسلامي بحرياتهم مقابل دفع الجزية، وفيما يتعلق بالقوانين المدنية والسياسية، فإن النصارى والإسبان احتفظوا بنوع من الحكومة الخاصة، وأحوالهم القديمة دون تغيير كبير، واحتفظوا من الناحية القانونية بالقوانين القوطية، أو قانون التقاضي Fuero Juzo - مختصر عن اللاتينية أي مجموعة القوانين القوطية - يخضعون لها في كل ما له علاقة بحكومتهم⁽⁹⁰⁾، وظلت علاقتهم بكنائسهم وقساوستهم على ما كانت عليه قبل الفتح، وترك التشريع الإسلامي بسماعته حق القضاء بين أهل الذمة لرجال من طائفتهم⁽⁹¹⁾، فتدار أمورهم بواسطة رجال من نصارى عجم الأندلس يسمون بالقمامسة، وواحداه قومس Comes⁽⁹²⁾، وأرطباس هو أول قمامسة الأندلس، ويعتبر الأمير عبدالرحمن الداخل 138-172هـ/756-788م أول من وضع هذا المنصب⁽⁹³⁾، وكان قومس الأندلس القومس الأعلى في البلاد، وحق تعيينه في يد الأمير الأموي، أما القمامسة المحليون فكان ينتخبهم النصارى في كل مدينة، وكان لهم قاضي نصراني يفصل في منازعاتهم يعرف بقاضي العجم، وكان يسمى قديمًا زمن القوط يودكس Judex،

(87) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 487، vol. 3، Lévy-Provençal, Histoire de L'Espagne Musulmane, pp. 222-223

(88) ابن سعيد، نيل على رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وأهلها، تقديم صلاح الدين المنجد، ط1، دار الكتاب الحديثة، القاهرة، 1968م، ص 27، فيرنيت، فضل الأندلس، ص 116-117.

(89) لين بول، قصة العرب، ص 39-40

(90) Simonet. J. Francisco, 1897, Historia de los Mozarabes de Espana, Madrid, Ediciones Turner, vol. 1, pp. 106-107

(91) خلاف، محمد عبد الوهاب، تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي، المؤسسة العربية الحديثة، مصر الجديدة، ط1، 1413هـ/1992م، ص 190.

(92) Simonet, Historia de los Mozarabes, vol. 1, p. 99، مؤنس، فجر الأندلس، ص 446-447

(93) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 58، وعن سياسة عبدالرحمن الداخل راجع ابن القوطية، المصدر ذاته ص 46-56.

ثم حلت محلها التسمية العربية القاضي، ثم صارت هذه اللفظة تتداول على ألسنة الناس ألكالدي Alcalde، وهكذا دخلت اللغة القشتالية وظلت مستخدمة فيها إلى اليوم، وكلمة ألكالدي هي تحريف لكلمة القاضي في العربية، استخدمها النصراني في إطار المثاقفة والتأثير المتبادل بينهم وبين المسلمين، ولا نعلم تاريخ استخدام هذا اللفظ بهذه الصيغة فيما اطلعنا عليه من المصادر والمراجع، ويحكم القاضي بالقوانين القوطية القديمة⁽⁹⁴⁾، أما المتخاصمون من مسلمين ونصارى، فإن القضاء الإسلامي يفصل بينهم، وقد سجل الونشريسي بعض القضايا التي يطلب فيها مقدميها من أهل الذمة المثول أمام قضاة مسلمين ليحكموا فيها وفق شريعتهم⁽⁹⁵⁾، وبذلك طبق المسلمون سياسة التسامح والتعايش الديني مع النصراني؛ فعاش النصراني جنباً إلى جنب مع المسلمين في أحياء خاصة لهم.

وكان لهم ثلاثة أسقفيات رئيسية في ثلاث مدن مهمة: طليطلة Toledo، أشبيلية Sevilla، ماردة Marida، وكان أول من تولى أسقفية أشبيلية الأسقف ابن المند بن غيطشة⁽⁹⁶⁾ كما كان لهم العديد من الكنائس والأديرة المهمة، مثل دير سان خوان ديلاينا San Juan Pena، وهو الذي أنشأه الأخوان الراهبان فوتو (Voto) وفيلكس (Felix) في عهد عقبة بن الحجاج 116-123هـ / 734-741م⁽⁹⁷⁾، وقد ترك المسلمون للنصارى كنائسهم باستثناء الكنائس التي قسمها المسلمون بينهم وبين النصراني وأقاموا فيها مساجد جامعة، مثل جامع قرطبة الذي أقيم في شطر من كنيسة شنت بنجنت San Vicent، ومسجد رفينة في كنيسة سانتا رفينة Santa Rufina⁽⁹⁸⁾، وفي الواقع هناك مبالغت من بعض المدونات من أن المسلمين خربوا أربعين من المطرانيات والأسقفيات؛ لأن المسلمين لم يخربوا في البلدان المفتوحة كنيسة واحدة، ويقول القاضي في ذلك: "ولست أرى أن يهدم شيء مما جرى عليه الصلح ولا يحول، وأن يمضي الأمر فيها على ما أمضاه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين فإنهم لم يهدموا شيئاً منها... وعندما أراد الخلفاء الماضين، هدم الكنائس التي في المدن والأمصار وأخرج أهل المدن، منعهم الفقهاء فكفوا عما أرادوا فالصلح نافذ على ما أنفذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى يوم القيامة⁽⁹⁹⁾"، هذه منهجية الإسلام وتعاليمه بخلاف ما تتداوله بعض كتابات المؤرخين الأوربيين عن تخريب وهدم بعض الكنائس؛ لأن ذلك يتنافى مع الواقع ويؤيد ذلك أن المسلمين لم يخربوا كنيسة قرطبة عند الفتح، رغم أنهم دخلوا البلد عنوة، بل اكتفوا

(94) القاضي حفص بن ألبير هو أول قاضي للعجم وقد مر بنا ذكره سابقاً، انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص31، سالم، تاريخ المسلمين، ص130، مؤنس، فجر الأندلس، ص462.

(95) الونشريسي، أبو العباس أحمد (914هـ / 1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمود حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981م، ج10، ص56، راجع خلاف، تاريخ القضاء، ص191، ويذكر النباهي أن لفظ قاضي الجماعة جرى اتخاذه في الأندلس منذ فترة مبكرة. النباهي: أبو الحسن علي (ت بعد 793هـ / 1390م)، تاريخ قضاة الأندلس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1983م، ص21.

(96) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص31، أبو دياك، الوجيز، ص223

(97) والي الأندلس زمن الخليفة هشام بن عبد الملك انظر الضبي: أحمد بن عميرة (599هـ / 1202م)، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية السويدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، ص380

(98) بن سعد، عريب، وابن زيد، ربيع، الأنواء، تحقيق دوزي مطبعة أبريل، ليدن، 1961م، ص33، ص113

(99) القاضي، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (182هـ / 798م)، كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، دت، ص147

بمشاركة النصارى فيها، وعندما انتشر الإسلام في البلد وضاق نصف الكنيسة بالمصلين اشترى عبدالرحمن الداخل 138-172هـ/756-788م النصف الآخر من النصارى، وأذن لهم في بناء كنيسة أخرى بدل الكنيسة القديمة التي أصبحت مسجد قرطبة الجامع⁽¹⁰⁰⁾، ويؤيد ما ذكرناه ما ورد عند دوفورك حول إبقاء المسلمين الكثير من الكنائس على حالها ما بين القرنين الثالث والخامس للهجرة/ التاسع والحادي عشر للميلاد⁽¹⁰¹⁾، وظلت الكنائس تؤدي دورها الاجتماعي إلى جانب وظائفها الدينية، فتعقد الزواجات، وتوثق الموالي، وتسجل المبيعات والعقود بين طوائفهم⁽¹⁰²⁾، كل ذلك أتاح للنصارى ممارسة حريتهم وشعائهم الدينية دون أية مضايقات، فيسمع الجميع صوت قرع النواقيس للصلاة في تعايش سلمي من الجميع، وقد ورد عند ابن حزم الأندلسي ت456هـ/ 1064م، قصيدة جاء فيها:

"أتيتي وهلال الجو مطلع قبيل قرع النصارى للنواقيس⁽¹⁰³⁾"

ما يدل على استمرار الحرية الدينية والتعايش السلمي إلى عصر القصيدة -ما بعد فترة الدراسة- فقد عاش الجميع في تعايش سلمي مشكلين أكبر إمبراطورية إسلامية للتعايش السلمي رغم الاختلافات الدينية والاثنية.

رابعًا - المثاقفة في المجال الفكري :

أ. كتابة التاريخ الإسباني الإسلامي والنصراني:

رأينا أن الفتح الإسلامي للأندلس يعتبر حدثًا حضاريًا لا عسكريًا فحسب، امتزجت فيه حضارات سابقة متنوعة كالرومانية، والقوطية مع حضارة جديدة لاحقة وهي الحضارة الإسلامية، فكان من نتائج التثاقف والتداخل المستمر بين الإسلام والنصرانية ظهور حضارة أندلسية جديدة تغلغت في الحياة الإسبانية، وتركت في شبه الجزيرة الأيبيرية آثارًا عميقة وواضحة إلى اليوم وصلت للفكر الأوربي، مما خلق للأندلس شخصية مستقلة خضعت لمؤثرات مشرقية ومغربية أفريقية إلى جانب المؤثرات الأوربية المحلية في الغرب النصراني الأمر الذي جعلها في مواجهة مستمرة مع الدول اللاتينية المسيحية هناك؛ لأن الحياة الإسلامية في إسبانيا لم تعرف الانفصال الجغرافي، أو العنصري، أو الحضاري بين المسلمين والنصارى، بل كانت حياتهم مشتركة بينهم؛ لذا خضعت كتابة التاريخ الإسباني الإسلامي والنصراني في العصر الوسيط لهذا التداخل والتثاقف المشترك، وظهر لنا تراث تاريخي ضخم احتضنته المصادر العربية والإسبانية.

وقد اهتم الأندلسيون وأولعوا بكتابة تاريخ بلادهم اعتزازًا بالعروبة والعقيدة، وهو ما سمي ب النزعة الوطنية الأندلسية معتبرينه من أنبل العلوم⁽¹⁰⁴⁾ فدونا تاريخهم متبعين منهجية ورواية المشاركة، والتي منها طريقة الحوليات، أو السنوات أي الكتابة على حسب السنين، وهناك تواريخ الملوك والخلفاء التي تؤرخ لكل دولة على حدة، وهناك كتب التراجم

(100) ابن عذاري، البيان المغرب، تحقيق بروفنسال، ج2، ص229، المقري، نفع الطيب، ج1، ص516، راجع مؤنس، فجر الأندلس، ص513

(101) Dufourcq, l'Europe Medievale sous Domination Arabe, op-cit,p72

(102) مؤنس، فجر الأندلس، ص501

(103) ابن حزم، طوق الحمامة، ص282

(104) راجع العوهلي، بدرية عبدالعزيز، "النزعة الوطنية في كتابة التاريخ الأندلسي" مجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية، كلية دار العلوم، القاهرة (2013م)، ع 39، ص635-693

والطبقات وما يتبعها من ذيول وصلات، وهناك تواريخ المدن المحلية التي تفوق وتميز الأندلسيون فيها، متبعين الطرق التي اتبعها المشاركة من الاقتباس، والملاحظة والمشاهدة، والمشاهدة، والاستعانة بالوثائق والمراسلات والآثار المادية، والتحليل والاستنتاج، فكان تاريخاً له ملامحه ومظهره وأسلوبه العربي الإسلامي، الذي فرض نفسه على المدونات والحواليات والملاحم الإسبانية المسيحية المعاصرة وبدت آثاره واضحة، كما تأثرت كتاباتهم أيضاً بالثقافة اللاتينية المسيحية الموجودة بحكم وجود تلك الأمة الإسبانية التي اندمجت في جسم الدولة الإسلامية بتاريخها وأشخاصها في الأندلس، فلا يمكن فصل ماضيها عن حاضرها، هكذا عكف المؤرخون الأندلسيون على تقصي الحقائق من مختلف مصادرها اللاتينية واليونانية القديمة لمعرفة تاريخ بلدهم الأندلس منذ العصور السابقة للحكم الإسلامي في إسبانيا أيام الرومان والوندال والقوط، إلى جانب معرفة أخبار الأمم الإسبانية والأوربية المعاصرة والمصاحبة لهم بحكم الجوار والمعاشية المشتركة (105)، مما أثمر عن إنتاج للمؤرخين الأندلسيين غني بالمعلومات عن الممالك النصرانية في شمال إسبانيا وما وراءها، ومعرفتهم التفصيلية بأخبارها، وهذا يؤكد اطلاعهم على مدونات مسيحية قديمة فُقد معظمها اليوم، كما أخذوا بالرواية الشفهية عن النصارى المقيمين في الأندلس المطلعين على أخبار الممالك في الشمال، إضافة إلى أننا لا نستبعد معرفتهم باللغة الإسبانية كما ورد في المصادر الإسلامية، وهذا من إيجابيات المتأقفة، حيث تأثرت المصادر الأندلسية بالحواليات والرواية التاريخية الإسبانية والأوربية التي استمر المؤرخون الأندلسيون في النهل منها حتى نهاية الحكم الإسلامي في إسبانيا، ومن أهم المصادر الأوربية الأساسية التي اعتمدا عليها: "كتاب التواريخ السبعة للرد على الوثنيين Histoire de libri Septemadversos Paganos للراهب الروماني الإسباني هروسوس السابق الذكر، وقد سبق أن أشرنا إلى استفادة المؤرخين والجغرافيين الأندلسيين منه، وتوجد اليوم ترجمة عربية لهذا الكتاب في مكتبة جامعة كولومبيا في نيويورك، وقد أُضيفت إليه تكملة لتاريخ القوط إلى دخول طارق بن زياد عليهم في إسبانيا، وهذه الإضافات في الأغلب عن مؤرخين لاتينيين، وقد قام عبدالرحمن بدوي بنشر هذا الكتاب في بيروت (106) كما اعتمد المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون في تاريخ الفترة السابقة للحكم الإسلامي لإسبانيا على القديس ايزيدورو الأشبيلي San Isidoro وتسمية المصادر العربية أشيدور، عاش من سنة 560م إلى سنة 636م، وكان أسقفاً لمدينة أشبيلية، وتعتبر كتبه من أهم مصادر التاريخ الإسلامي ومنها: كتاب مشاهير الرجال، وكتاب أصول الكلمات Etimologías، وكان ضمن مصادر العذري ت478/988م عندما تحدث عن قبائل القوط، وعن مدينة طالقة Talica الرومانية القريبة من إشبيلية (107) والتي لاتزال آثارها باقية إلى الآن، كما نقل عنه البكري ت487/1094م، ويرجح بالنسبة أن كتاب ايزيدور كان مترجماً للعربية؛ لأن أوصاف بعض النواحي في كتابه تنطبق على أوصاف البكري ت487/1094م (108).

هذا واعتمد المؤرخون الأندلسيون على المصادر اليونانية القديمة مثل كتاب ديسقوريدس Dioscorides الحشائش أو الأدوية المفردة سابق الذكر، ولم تخلُ كتاباتهم من أخبار الممالك المسيحية الإسبانية والأوربية التي عاصرت الحكم الإسلامي في الأندلس، فقد كانت حاضرة بشكل كبير في كتابات المؤرخين الأندلسيين معبرة عن

(105) العبادي، "التأثير المتبادل في الرواية التاريخية العربية الإسبانية" المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، (1990م)، مج 24، ص33

(106) العبادي، التأثير المتبادل، ص34

(107) العذري، نصوص الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، ص172-173

(108) بالنسبة، تاريخ الفكر الأندلسي، ص311.

تجلي صور المثاقفة بشكل واضح بين ثقافتين متجاورتين، وهو ما لاحظته ريبيرا الذي يرى أن كتب التاريخ الإسلامي الأندلسي تتضمن حشدًا من القصص والأساطير بعضها من أصول مشرقية، وبعضها من محلية إسبانية مسيحية، وأنها كانت جارية على ألسنة الناس باللاتينية الدارجة، ومنها ما ابتكره الإسبان المسلمون، وأن الأندلسيين أدرجوها بالعربية في أخبارهم وأشعارهم، وأورد عدة أمثلة منها الأراجيز التي نظمها بعض الأندلسيين حول فتح الأندلس ووصف حروبها، وبعض الوقائع التاريخية بين العرب والإسبان⁽¹⁰⁹⁾، وهذه الأراجيز مفقودة واحتفظ لنا ابن القوطية في كتابه تاريخ افتتاح الأندلس بأجزاء منها، ويمكن الاستدلال من خلاله أنها كانت تحوي قصصًا وأساطير شعبية من الطابع المحلي الإسباني الأصل مثل قصة القومس أرطباس بن الملك القوطي غيطشة، وأنه كان أول قومس بالأندلس لجأ إليه زعماء العرب يطلبون ضياعًا فأكرمهم، وأعجب عبدالرحمن الداخل به فولاه رئيسًا لأهل ملته من النصارى، فيرى خوليان ريبيرا أن هذه القصة لم يكتبها عربي إنما إسباني نصراني أندلسي أراد أن يصل بها واقعة سياسية ذات أهمية لأهل الذمة من النصارى الإسبان وهي إنشاء رئاسة للقمامسة خاصة بهم في الأندلس⁽¹¹⁰⁾، هذا وصح المؤرخ الطبيب القرطبي عريب بن سعد ت 370هـ/980م طبيب الحكم المستنصر 350-366هـ/961-976م بعض الأخبار الشائعة بين الناس عن الفتح الإسلامي للأندلس، ومنها زعمهم عن مائدة سليمان موضحًا أنها لم تكن مائدته، بل إن أهل الحسبة من النصارى كانوا إذا حضرتهم الوفاة أوصلوا للكنايس بمال تصنع منه كراسي توضع عليها مصاحف الإنجيل في الأعياد، فكانت تلك المائدة مما يتفوق به الملوك⁽¹¹¹⁾، وهذا التفسير يدل على أثر المثاقفة الفكرية والمعايشة التي مكنت عريب من معرفة عادات النصارى، وألف الخشني ت 366هـ/976م كتاب " تاريخ قضاة قرطبة " تحدث فيه عن بعض عادات أهل الأندلس ولغتهم ولباسهم، وأشار إلى إتقان بعض القضاة للغة الإسبانية حيث يناقشون المتهمين بها أثناء المحاكمة، وهذه الظاهرة من أهم مظاهر المثاقفة وسبق أن تحدثنا عنها في ازدواجية اللغة.

ومن ناحية أخرى نجد التراث التاريخي الإسباني تأثر بالمصادر الإسلامية العربية وللعبادي دراسة قيمة في هذا الموضوع حول التأثير المتبادل في الرواية التاريخية العربية الإسبانية، وهي أحد مراجع هذا البحث في هذا الشأن، حيث شكات الحوليات الإسبانية مظهرًا جيدًا لدور إسبانيا في المثاقفة ومزجت حضارتي الشرق والغرب، وهناك شواهد كثيرة تشير إلى تأثر الحوليات الإسبانية بمثلثاتها الإسلامية العربية قبل أن تُنشأ مدرسة الترجمة في طليطلة خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بوقتٍ طويل، حيث بدأت هذه المؤثرات بعد الفتح الإسلامي بوقت قصير من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فمنذ ذلك التاريخ ظهرت بعض الكتابات التاريخية لبعض المستعربين تتضمن كتاباتهم بعض الأخبار التي سمعوها، أو نقلوها عن المؤرخين المسلمين، وعن العرب، ومن هذه المؤلفات:

الحولية المتنبئة La Cronica Profetica: سميت بهذا الاسم تحت تأثير النبوءة التي شاعت في إسبانيا ذلك الوقت بأن الحكم الإسلامي العربي سينتهي بعد قيامه في إسبانيا بمائة وسبعين سنة أي سنة 883م، وهي السنة التي ألف فيها المؤلف هذا الكتاب متأثرًا بزهو الانتصارات التي أحرزها ملك ليون الفونسو الثالث الملقب بالعظيم EL

(109) بالنشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 603، 604

(110) بالنشيا، تاريخ الفكر الأندلسي ص 202-205 ص 604

(111) بالنشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 206

Magno 866-910م، وهي تقابل فترة الطوائف الأولى في الأندلس التي أعقبت وفاة الأمير الأموي عبدالرحمن الثاني في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، واتسمت بالضعف والتفكك، كما يحتوي الكتاب على تاريخ لأنساب العرب، ويظهر واضحاً اعتماد المؤلف على مصادر إسلامية عربية⁽¹¹²⁾.

بالإضافة لذلك هناك **حولية البلدة La Cronica Albeldense**: يقول العبادي: "سميت بهذا الاسم نسبة إلى المكان الذي عثر عليها فيه، وهو دير البلدة بالقرب من مدينة لوجرونو Logrono في وادي الأبرو شمالي إسبانيا، وتشتمل على تاريخ مختصر لملوك القوط في إسبانيا، وتاريخ الممالك الإسبانية المسيحية التي قامت في الشمال، ومختصر لتاريخ العرب في إسبانيا والمشرق، ويصل الكتاب في أحداثه إلى العشر سنوات الأولى من حكم الفونسو الثالث الملقب بالعظيم EL Magno سنة 876م، ويلاحظ في هذه الحولية بدء ظهور الكلمات الرومانسية في النص اللاتيني، والمقصود بالرومانسية هنا اللاتينية العامة التي تطورت منها اللغة الإسبانية ويسمىها العرب العجمية⁽¹¹³⁾، وهذه التأثيرات تدل على بصمة المثقفة الواضحة والتي برهن فيها المسلمون والنصارى على سعة أفقهم ورؤيتهم المتطلعة للعلم والفكر، والحرص على الاستفادة من تراث الأقدمين، بعيداً عن عصبية بعض المتطرفين من كلا الجانبين الإسلامي والنصراني.

ب. الرواية الأدبية وفن القصة:

يشير بروفنسال⁽¹¹⁴⁾ إلى آثار المثقفة في الفن القصصي في أوروبا، فنجد في الأدب الإسباني اللاتيني أثرًا واضحاً لهذه القصص المصبوغة بصبغة دينية، فكانت تروى للعظة والعبرة، وهو أسلوب شرقي إسلامي، ومن إسبانيا انتقل هذا الأسلوب إلى أوروبا، وأشار الإسباني ريبيرا في تعليقه على أثر الشعر القصصي الأندلسي في الشعر الفرنسي والإسباني عندما ذكر أن تلك الأساطير الأندلسية تتفق مع الأساطير الإسبانية، حيث نشأت في النواحي والعصور التي حفلت بالصراع والحروب، وتتفق من بعض النواحي مع الأساطير الفرنسية في أن شخصياتها تاريخية، وتتخللها فكرة سياسية وغير ذلك من مميزات القصص والخصائص العامة المشتركة نتيجة المثقفة، فخرج لنا أدب إسلامي الطابع، أسباني الروح⁽¹¹⁵⁾. أما فيرنيت فيقول: " وقد وجد في الأندلس منذ وقت مبكر شعراً ونثراً وتتفاوت شحنتهما الملحمة، لذلك ينبغي أن نفترض أن المستعربين كانوا على دراية بهما، مثلما كان البيزنطيون والعرب والأتراك في الشرق تطلع كل أمة منهم على ما ينتج خيال الأمتين الأخيرتين من هذا الأدب...والدليل على ذلك المعرفة بالإسلام، التي تشف عنها أغاني الفروسية الغربية...وأسماء يمكن أن تتطابق هويتها مع شخصيات تاريخية إسلامية كما هو الحال في شخصية آيكين Aiquin والخليفة الحكم الثاني المستنصر⁽¹¹⁶⁾، ويرى بيدال أن مظاهر التقدم الكبرى فيما بين القرن الثاني والسادس للهجرة/ الثامن والثاني عشر للميلاد يرجع الفضل فيه إلى المسلمين، ومن ثم كانت العربية لغة التقدم، في حين أن اللاتينية لغة ثقافة الغرب الأوربي، ولم تعد لها قيمة بالقياس للعربية⁽¹¹⁷⁾.

(112) العبادي، التأثير المتبادل، ص41

(113) العبادي، التأثير المتبادل، ص40-41.

(114) بروفنسال، ليفي، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة محمود علي مكي، دار المعارف، القاهرة، 1979م، ص87-88

(115) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص607-609، 613

(116) فيرنيت، فضل الأندلس، ص394

(117) بيدال، أسبانيا حلقة اتصال، ص3

خامساً: المثاقفة في الحياة الاقتصادية والحضارية:

في ظل التعايش والتسامح الديني سمح الإسلام لغير المسلمين بالعمل والكسب، ومباشرة جميع الأنشطة الاقتصادية المختلفة مثل المسلمين تمامًا، وخلال حكم بني أمية في الأندلس 138-422هـ / 756-1031م، شهد النشاط الاقتصادي تطورًا كبيرًا في كافة المجالات، ساعد على ذلك أنهم ألغوا نظام الإقطاع القوطي الذي ساد في إسبانيا وأحاء أوروبا خلال العصور الوسطى؛ لما فيه من تفرقة بين طبقات المجتمع، وسأوى الأمويون بين جميع الطبقات، وأقروا أحقية عامة الناس في تلك الأراضي وزراعتها فتملك الخاصة والعامة⁽¹¹⁸⁾. وقد شارك نصارى الأندلس في التجارة الداخلية والخارجية، وكان أغلبية المزارعين من النصارى الذين يسكنون القرى والضياع⁽¹¹⁹⁾ خاصة في الفترة الأولى من حكم المسلمين لانشغالهم في استكمال عمليات الفتح، فكان الاعتماد على أهل الذمة خاصة النصارى، كما شاركوا في التجارة بين الأندلس وممالك الشمال المسيحية، ساعد على ذلك غنى أرض الأندلس بالخيرات وتنوع الثروات، فقد كان النصارى ينقلون فاكهة التين التي اشتهرت بها مدينة مالقة عبر الطرق البحرية⁽¹²⁰⁾، واهتموا بزراعة المحاصيل الزراعية المتنوعة ومنها القمح، والذرة، والفول، والكروم، والعنب⁽¹²¹⁾ وغير ذلك من الأنشطة التجارية مما لا يتسع المجال لذكره. وكان البعض من التجار النصارى ممن يتقن اللغة العربية يتواصلون بها مع المسلمين لجلب الزبائن، وكانوا حسب دوفورك Duffourcq⁽¹²²⁾ يحلفون باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم على جودة منتجاتهم.

ومن المظاهر المصاحبة للمثاقفة تطور الفن المستعربي في العمارة والبناء لدرجة أن اعتبر من فنون عصر النهضة الأوربية، فكان التأثير واضحًا في بناء الأقواس، ويشير جوميث مورينو إلى كنيسة سان ميغل دي إسكالادا Saint mikel de Escalada في مدينة Leon التي بناها سنة 310هـ/913م مستعرب أتى من قرطبة عندما قال: "ونجد فيها أصولًا أندلسية تتمثل في تيجانها التي تحمل أوراقًا ملساء، وفروعًا مخططة، وسعفًا على شكل حذوة فرس ومسبحة، كما تتمثل فيها أشكال أسود صاعدة، وطائر يحمل في منقاره سمكة، ورؤوسًا خرافية وطيورًا"⁽¹²³⁾، واستعمل المعماريون القرطبيون في الصروح الفرنسية الأولية المبنية على الطراز الروماني مثل القوس متعدد الفصوص في بوابة الصاغة في كومبستيل Compostela وزخارفها الملونة والقباب المزينة بالتقاطعات، ويبدو أن أولئك المعماريين كانوا يتقلدون من دولة لأخرى لممارسة صنعتهم بصورة ورشات عمل متنقلة⁽¹²⁴⁾. هذا وقد أرسل الخليفة الحكم المستنصر 350-366هـ / 961-976م سفارة إلى بلاط الإمبراطور البيزنطي نقفور فوقاس لإحضار صانع

(118) ابن حوقل: أبو القاسم النصيبي (380هـ / 990م)، كتاب صورة الأرض المعروف بكتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك، مطبعة بريل، ليدن، ط2، 1938م، ص1939م، ص104، عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس، ج1،

ق1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م، ص62

(119) ابن حوقل، صورة الأرض، ص111

(120) المقري، نفع الطيب، ج3، ص219

(121) المقري، نفع الطيب، ج1، ص197، ج3، ص317

(122) l'Europe Medievale sous Domination Arabe, op. cit., p. 38

(123) كحيل، تاريخ النصارى في الأندلس، ص137

(124) فيرنيت، فضل الأندلس، ص391

مختص في الفسيفساء إلى الأندلس ليشرف على زخرفة أجزاء من المسجد الجامع بقرطبة⁽¹²⁵⁾ مما يدل على أن العلاقات الدبلوماسية وحسن الجوار مع الممالك النصرانية ساعدت على النشاط الاقتصادي باستثناء فترات التوتر والحروب بينهما أحياناً.

سادساً: أثر المثقفة بين المسلمين والنصارى في الأندلس على أوروبا:

إن الكتابة -بحثاً ومقارنة- حول الأثر الحضاري والفكري الذي تركه المسلمون في الأندلس وكان مفتاح النور لأوروبا عبء جسيم يتطلب جهود عدد من الدارسين المتخصصين المهتمين بالتراث العلمي الإسلامي؛ إذ لا بد من حصر ذلك التراث العلمي الذي ما يزال بعضه مخطوطاً فضلاً عما يزال مفقوداً منه رغم جهود بعض العلماء ومفكري الأمة الإسلامية في هذا المجال. وقد شهد بعض الكتاب المستشرقين بفضل الحضارة الإسلامية على أوروبا، ومنذ أكثر من نصف قرن نشرت مجلة Archeion التي يصدرها المجمع العالمي لتاريخ العلوم بياناً يحتوي قائمة بالكتب العربية، وقد كان ضمنها مؤلفات إسلامية أندلسية ماتزال مخطوطة بحاجة للتحقيق والنشر⁽¹²⁶⁾، وقد شهدت الأندلس خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة/ السابع والثامن للميلاد تطوراً ملحوظاً في الجانب الحضاري في كافة المجالات، ونشطت حركة التأليف والترجمة كما سبق أن مر معنا، وكان للمثقفة بين علماء المسلمين والنصارى دور فاعل في نقل جهد وتراث العلماء المسلمين في الأندلس إلى أوروبا وتحررها من عصور الظلام إلى نور العلم والحضارة، وتذكر بعض المصادر أن إبراهيم المنحجي الذي دخل مع عبدالرحمن الداخل (138-273هـ/875-886م) هو من أوائل المهتمين بصناعة الطب في الأندلس وكان طبيبه الخاص⁽¹²⁷⁾، واشتهر في علم الطب أيام الأمير محمد الأوسط (238-273هـ/857-668م) حمدان بن أبان من أهل قرطبة⁽¹²⁸⁾، وألف عبدالملك بن حبيب السلمي (238هـ/853م)⁽¹²⁹⁾ كتاب مختصر الطب، والحسبة في الأمراض، إضافة لكونه من الفقهاء والمحدثين، ويذكر ابن جلجل أن قوماً من النصارى كانوا يتطیبون بالأندلس في أيام عبدالرحمن الأوسط (206-283هـ/857-857م) قبل أن يشتهر حمدان بن أبان، " ولم تكن لهم بصارة بصناعة الطب، والفلسفة، والهندسة⁽¹³⁰⁾".

وكان مرجع بعض المتطبيين النصارى في الطب كتاب الأبريشم ومعناه الجامع أو المجموع⁽¹³¹⁾، كما تُرجم الكتاب المشهور في المشرق لأبقراط وسُمي (الفصول)، وترجم هذا الكتاب للعربية حنين بن إسحاق (620هـ/873م)⁽¹³²⁾، ونُقل عن اللغة العربية إلى الإغريقية بعنوان Aphorismi، ويحتوي هذا الكتاب على أربعمائة

(125) بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة محمد سالم ومحمد صلاح الدين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990م، ص92.

(126) راجع الخطابي، محمد العربي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دراسة وتراجم ونصوص، تأليف وتحقيق محمد الخطابي، 2مج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1988م، ج 1، ص8.

(127) مجموع في تاريخ الأندلس، تراجم علماء الأندلس، مدريد، 1915م. نقلاً عن الخطابي، الطب والأطباء، ج 1، ص 11

(128) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص93، ولم يرد عنه غير ما ذكرنا.

(129) انظر في ترجمته الحميدي، جذوة المقتبس، ص447-448

(130) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص92.

(131) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص92.

(132) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب (380هـ/990م)، الفهرست، ضبطه وشرحه يوسف علي طويل، وضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996م، ص456.

فصل مقسم إلى ثمانية أقسام، ولم تعرفه أوربا إلا في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي⁽¹³³⁾؛ وهذا يؤكد ما ذكره ابن جلجل من أن النصارى الذين كانوا يتطربون في الأندلس قبل عهد الأمير محمد الأوسط (238-273هـ/857-668م)⁽¹³⁴⁾ لم يكن لهم بصارة بصناعة الطب، ولم يكن لهم تأثير ملحوظ في الطب الأندلسي، أما في عهده ومن جاء بعده برزت أسماء عدد من الأطباء الجراحين الأندلسيين⁽¹³⁵⁾.

وفي مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حدث تطور سياسي انعكس على الحياة العلمية والفكرية، وهو تولي الأمير عبدالرحمن الناصر (300-350/912-961م) الحكم ثم إعلانه نفسه خليفة سنة 316هـ/929م واستقلال الأندلس سياسياً، وكان محباً للعلم مشجعاً للعلماء⁽¹³⁶⁾، وحظيت مختلف العلوم العقلية باهتمامه واهتمام ابنه الحكم (350-366هـ/961-976م)⁽¹³⁷⁾، وأصبحت قرطبة عاصمة العلم في أوربا والغرب الإسلامي يرتادها العلماء والطلاب من المشرق، والمغرب، وأوروبا في تعايش سلمي جسّد وسطية الشريعة السمحة، وبرز عدد كبير من العلماء والأطباء خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي⁽¹³⁸⁾، وفي مقدمتهم الطبيب الجراح أبو القاسم الزهراوي (404هـ/1013م)⁽¹³⁹⁾ الذي كان لمؤلفه الموسوعي (التصريف لمن عجز عن التأليف) فضل كبير - بعد الله - على الغرب الأوربي في تطور علم الصيدلة والطب والجراحة؛ حيث تُرجم إلى اللاتينية في عصر مبكر، وبقي مرجعاً معتمداً في الصيدلة والجراحة طوال قرونٍ من الزمن إلى عصر النهضة وما بعدها⁽¹⁴⁰⁾، فكانت الأندلس المعبر الرئيسي الذي عبرت منه العلوم العربية إلى أوربا بالترجمة والمثاقفة القائمة على التعايش السلمي بين المسلمين والنصارى، مما جعل النصارى يستفيدون من الثقافة والحضارة الإسلامية التي كانت من أبرز العوامل التي مهدت لخروج أوربا من عصر الظلمات إلى عصر النهضة، وقد أصدر المستعرب الإسباني خوان بيرنيط كتاباً حول دور الأندلس في نقل الحضارة الإسلامية إلى أوربا، وخصص المستشرق الإيطالي ألدو ميلي باباً كاملاً من أبواب كتابه (العلم عند العرب) لدور الأندلس في انتقال العلم إلى أوربا⁽¹⁴¹⁾.

(133) راجع الخطابي، الطب والأطباء، ج1، ص13، وانظر تعليق الكاتب حول كتاب الفصول ص13-14.

(134) ابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، ص119.

(135) ذكرنا منهم حمد بن أبان وحواد النصراني، ومنهم ابن ملوكة والطبيب إسحاق اللذان عاشا في عهد الأمير عبدالله (275-300هـ/888-912م) واشتهرا بالجراحة والكي والجبر وغيرها. راجع ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص92، الخطابي، الطب والأطباء، ص14.

(136) ابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، ص197-200.

(137) ابن الأبار، الحلة السيرة، ج1، ص200-205.

(138) راجع الخطابي، الطب والأطباء، ج1، ص39-48.

(139) خلف بن عباس الزهراوي انظر ترجمته في الحميدي، جذوة المقتبس، ص184، ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ضمن رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1981م، ج2، ص185، ذكر لوسيان لوكليرك أن هناك تأثيراً بالغا أحدثه الزهراوي في سبيل تقدم الطب والجراحة في أوربا، حيث كان باعث الحياة في علم الطب بفرنسا عندما هاجر بعض الأطباء الإيطاليين إلى فرنسا حاملين معهم مؤلفاته، ووصف أحدهم جُل الجراحين الفرنسيين بأنهم أغبياء وملحدون، لا يكادون يعرفون لغتهم وكانوا مجرد خَدَمَة، وقد بلغ بهم الجهل بحيث يصعب أن تجد بينهم جراحاً عقلاً، ويتبوأ الزهراوي مكانة إلى جانب أبقراط، وجالينوس، ويؤلف معهما ما يشبه التالوث العلمي. نقلاً عن الخطابي، ج1، ص128.

(140) الخطابي، الطب والأطباء، ج1، ص21.

(141) راجع الخطابي، الطب والأطباء، ج1، ص35-36.

سابعاً: أثر المتاقفة على العلاقات الخارجية بين المسلمين في الأندلس والممالك النصرانية المجاورة:

واكب السفارات الدبلوماسية⁽¹⁴²⁾ المتبادلة بين المسلمين في الأندلس والممالك النصرانية المجاورة اتصالات حضارية بين الجانبين، فالعلماء والرسول الذين سافروا إلى تلك البلاد كانوا في معظمهم من علماء النصراني المستعربين الذين يتقنون عدة لغات كاللاتينية، والعبرية، والعربية، مكنهم ذلك من نقل الفكر الإسلامي وتشريه العقل الأوربي، كما استطاعوا نقل تراثهم اللاتيني إلى اللغة العربية، وقوانين المجامع الكنيسية الكاثوليكية⁽¹⁴³⁾، وكان تطور العلاقات الدبلوماسية بين الأندلسيين والممالك النصرانية، وما صاحبها من تبادل الهدايا من كتب ومخطوطات نفيسة قد شجع على الترجمة من وإلى اللغة العربية، والتبادل الثقافي بين كلا الجانبين. ويأتي ازدهار العلاقات الدبلوماسية وتطورها بين المسلمين والنصارى مواكباً لتطور الحضارة الأندلسية، حيث بلغت العلاقات الدبلوماسية أزهى عصورها في عهد الخليفة الناصر (300-350هـ / 912-961م) وابنه الحكم (350-366هـ / 961-976م) ففي سنة 338هـ / 949م تلقى الخليفة عبدالرحمن الناصر 300-350هـ / 912-961م، هدية من الأمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع المعروف ب بورفيروجينيتوس 944-959م، حيث ذكر المؤرخون الأندلسيون أنه أرسل سفارة إلى قرطبة سنة 336-337هـ / 947-948م، وأخرى سنة 338هـ / 949م، وأن خليفة قرطبة أرسل سفارة ردًا على هاتين السفارتين⁽¹⁴⁴⁾، وكان من ضمن الهدايا كتاب: (الأدوية المفردة) المعروف بالحشائش للطبيب اليوناني ديسقوريدس⁽¹⁴⁵⁾، وكتاب هُروسيس صاحب القصص، وهو تاريخ للروم عجيب فيه أخبار الدهور وقصص الملوك الأوائل، وفوائد عظيمة⁽¹⁴⁶⁾، ووصلت هدية إلى بلاط قرطبة سنة 328هـ / 939م إلى ولي العهد الأمير الحكم المستنصر 350-366هـ / 961-976م، وكانت الهدية كتاباً يحوي تاريخ ملوك الفرنجة⁽¹⁴⁷⁾، وتجاوزت عادة إهداء الكتب المستوى الرسمي حيث شارك أبناء الطوائف المعاهدة في ذلك التهادي؛ حيث أهدى أحد أساقفة قرطبة وهو الأسقف ربيع بن زيد للأمير الحكم المستنصر 350-366هـ / 961-976م، تقويمًا للأعياد المسيحية الإسبانية⁽¹⁴⁸⁾.

(142) يمكن الرجوع إلى: آل مصطفى: إبراهيم محمد، سفارات الأندلس إلى ممالك أوروبا المسيحية الكاثوليكية (138-422هـ / 755-1031م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2013م، ص62-74، ص144-152.

(143) العبادي، "الإسلام في أرض الأندلس"، مجلة عالم الفكر، الكويت، (1979م)، مج 10، ع2، ص390.

(144) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص493-494، ابن جلجل، طبقات الأطباء، المقدمة، صكت- لج، ابن خلدون، العير، مج1، ص1531، مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص36.

(145) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص21، هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص376.

(146) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص494.

(147) انظر المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص36، هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص501، الكبيسي: حمدان، تشجيع الحكم المستنصر للحركة العلمية في الأندلس"، بغداد: مجلة المؤرخ العربي الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب،

س16، ع41-42، (1990م)، ص154، Hajji, Abdurahman Ali, Diplomatic Relation between Andalusia and the Franks, *Islamic Quarterly*. Islamic Cultural Center, London, Vol. 13, No. 2, April-June, 1969, pp. 121-122.

(148) أبو صالح، وائل، "جهود الحكم المستنصر في تطور الحركة العلمية في الأندلس"، مجلة النجاح للأبحاث، ع6،

Hajji 1969, pp. 121-122، ص125، (1992م)

الخاتمة

- توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج يمكن عرضها حسب ما يلي:
- شكلت المثاقفة ظاهرة إيجابية عرفتها المجتمعات البشرية عبر تاريخها الطويل، وظلت أبلغ وسيلة للتقارب والتواصل، وتبادل المعارف والخبرات، وعاملاً قوياً من عوامل تطور وازدهار الحضارات الإنسانية، ويقدر قوة حركة المثاقفة تكون الحضارة غنية معطاءة، ومتنوعة، ويسمى اليوم "حوار الحضارات"، فالتقارب الثقافي بين مجتمعين هو الوسيلة المثلى لتقارب حضارتيهما، وتوطيد السلم والتعاون بينهما بدلاً من الصراع السياسي، والحربي، أو العقدي، وهو ما حدث بين المسلمين والنصارى في الأندلس في المجالات الإدارية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والعلمية، والدينية، والفكرية، نتيجة التسامح الديني من المسلمين، والتعايش السلمي لتحقيق غاية هذا الدين العظيمة، وإيصال رسالته السامية، وكيف أحدثت المثاقفة دوراً في النقلة الحضارية الإسلامية في الأندلس، ومنها كان الفضل على أوروبا.
 - حظيت بلاد الأندلس بفضل الاتصال والتبادل المعرفي مع الحضارات الأخرى، وتبادل المعلومات، والخبرات والتجارب المختلفة، بثقافات عدة سواءً من سكان البلاد، أو الداخلين إليها، بالإضافة إلى تنوع تضاريسها وطيب هوائها، مما جعلها بيئة حاضنة للثقافات بين شعوب مختلفة سكنت أرضها.
 - حافظت المثاقفة على هوية كل شعب في ظل الحوار بين الحضارات دون المساس بخصوصية الهوية الثقافية، أو الحضارية، كما لم تدعُ لكسر الحواجز، أو لإلغاء الخصوصيات الدينية، والثقافية لكل حضارة، مثل الاستعمار، أو العولمة، وهو ما يهدد هوية كل أمة وتراثها التاريخي والحضاري.
 - نجح أمراء وخلفاء الدولة الأموية في الأندلس في تكوين أكبر إمبراطورية إسلامية تميز فيها المجتمع الأندلسي بئراء مكوناته السكانية مع اختلاف أصولها ومشاربها، انصهرت في ثقافة واحدة وسط جو من التسامح الديني، والتعايش السلمي، ومنها كانت بوابة الحضارة لأوروبا.
 - كان هناك عوامل مهمة ساعدت في عملية المثاقفة بين المسلمين والنصارى منها الدور الذي قام به الفاتحون الأوائل في صرف جُل جهودهم للدعوة لله، ونشر الدين الإسلامي بعقيدته الخالصة، ومبادئه السمحة هناك، والاستقرار السياسي الذي شهدته بلاد الأندلس منذ دخول عبدالرحمن الداخل 138-172هـ/ 756-788م، وتمكنه من قمع الثورات والاضطرابات، وتشجيع أمراء وخلفاء بني أمية على العلم والتعلم، ونشاط الرحلة خارج بلاد الأندلس وداخلها مما ساهم في إثراء المعرفة، والامتزاج الثقافي، إضافة للزواج من النصرانيات، وعلاقات الصداقة ودورها في تلك المثاقفة.
 - ظهور تيار الاستعراب في الثقافة الأندلسية نتيجة لتأثر النصارى بالفكر والثقافة العربية الإسلامية لدرجة أن حلت اللغة العربية محل اللاتينية في مختلف نواحي الحياة، تجلت آثار ذلك في نقل التأثيرات الإسلامية إلى أوروبا.
 - ظهرت آثار المثاقفة واضحة في كتابة التاريخ الإسباني، والإسلامي، والنصراني، فاعتمد المؤرخون الأندلسيون على المصادر اليونانية القديمة، وتأثر التراث التاريخي الإسباني بالمصادر الإسلامية، كما ظهرت آثار المثاقفة في النواحي الحضارية، والاقتصادية، وعلى العلاقات الخارجية للأندلس مع الممالك النصرانية المجاورة.
 - ومن النتائج السلبية المحدودة للمثاقفة التي لا يمكن إغفالها ثورة المستعربين عندما أنشأت الكنيسة حركة مضادة لما رأت إقبال النصارى على التراث الحضاري الإسلامي واللغة العربية، وتحدثت المسلمين في مشاعرهم بالإساءة لقرآنهم، ودينهم، ونبينهم صلى الله عليه وسلم، تم التصدي لها بكل حزم.

Acculturation between Muslims and Christians in Andalusia from the Conquest to the Fall of the Umayyad Caliphate 92-422 AH / 711-1031 AD. An Historical and Civilizational Study

*Badriya bint Abdulaziz bin Abdullah Al-Ohali**

ABSTRACT

The question of acculturation is a new topic for the Islamic history of Andalusia, and studying it helps to shed light on tolerance in the Islamic religion and contributes to refuting accusations of terrorism and to affirming the moderate view of Islam to non-Muslims. This article examines the factors that led to acculturation between Muslims and Christians in Andalusia, clarifies how acculturation manifested itself and observes the impact of acculturation on the cultural life among the Christians in Andalusia and its broader civilizational impact in Europe and in the relations between the Muslims and the neighboring Christian states. The article clarifies how peaceful coexistence and exchange of knowledge among intellectually and religiously diverse peoples were achieved, especially between Muslims and Christians, and reviews how vitalizing the civilizational role that Muslims played in Andalusia can help create a strategy for us to benefit from acculturation in our own day.

Keywords: *Acculturation, Translation, Mozarabic Culture, History of Spain, Historical Narrative and Literary Novel.*

* Shaqra University, Saudi Arabia. Received on 26/12/2019 and accepted for publication on 2/6/2020.

REFERENCES

- al-Abadi, Ahmad Mukhtar (1979); Islam in the Land of Al-Andalus, *World of Thought Journal*, Kuwait, vol. 10.2, pp. 144-148.
- al-Abadi, Ahmad Mukhtar (1985); Lisan al-Din and his Historical Writings, *World of Thought Journal*, vol. 16.2, pp. 25-35.
- al-Abadi, Ahmad Mukhtar (1990); Mutual Influence in the Arabic-Spanish Historical Narrative, *The Egyptian Institute for Islamic Studies*, Madrid, vol. 24, pp. 20-33.
- al-Abadi, Ahmed Mukhtar (n.d); *The History of Al-Maghrib and Al-Andalus*, Dar Al-Nahdah, Beirut.
- Abbas, Ihsan (1969); *History of Andalusian Literature, the Era of Sovereignty of Cordoba*, Dar al-Thaqafah, Beirut, 1st ed.
- Abu Dyak, Saleh (1987); *Al-Wajeez "brief" in the History of Al-Maghrib and Al-Andalus*, Al-Kinani Library, Irbid.
- Abu Saleh, Wa'el (1992); Efforts of al-Hakam al-Mustansir in the Development of the Scientific Movement in Al-Andalus, *Al-Najah Research Journal* vol. 6, pp. 121-125.
- al-Alusi, Hikmat Ali. (1971); *Chapters from the Andalusian Literature in the 2nd & 3rd Hijri centuries*, Salman Al-A'adami Press, Baghdad.
- Annan, Mohammad Abdullah (1997); *The State of Islam in Al-Andalus*, No. 1, Sec. 1, Al-Khanji Library, Cairo, 4th ed.
- Anonymous (1989); *Akhbār majmū'ah*. Ibrāhīm al-Abyārī, ed. Cairo: Dār al-Kitāb al-Miṣriyyah.
- al-Ḍabiy, Aḥmad bin Yaḥyā (d. 599/1202)(1997); *Bughyat al-multamas fī tārikh rijāl ahl al-andalus*, Rawḥiyyah 'Abd al-Raḥmān al-Suyūfī, ed. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Azzam, Fayez Saeed Saleh (1985); *Informing what the Christians' Religion Include of Corruption and Delusions, Showing the Merits of Islam and Proof the Prophethood of our Prophet Mohammad (PBUH) for Al-Qurtubi: Abu Abdullah Mohammad bin Ahmed bin Faraj Al-Ansari (d.671 AH/ 1273 AD), an investigation and study*. Unpublished PhD dissertation in Islamic Creed, Umm Al-Qura University, College of Sharia and Islamic Studies, Department of Creed.
- Baalbaki, Munir (1994); *Al-Mawrid Dictionary*, Dar al-Alam lil-Malayin, Beirut.
- Cagigas, Isidor de las (1947); *Minorias Etnico, Religiosos de la Edad Media Espanola, Los Mozarabes*, Instituto de Estudios Africanos, Madrid.
- Castro, Americo (2000); *The Civilization of Islam in Spain, a Comparative Historical Study on Language, Literature, and Biographies*, translated by Suleiman al-Attar, Cultural House, Cairo, 1st ed.
- Dozy, Reinhart (1963); *Muslims in Andalusia, History of the Muslims of Spain*, translated by Hassan Habashi, Dar al-Ma'arif, Cairo.
- Dozy, Reinhart (1998); *Muslims in al-Andalus, Christians and al-Muwalladun "Multiracial"*, translated by Hassan Habashi, Egyptian General Book Authority.
- Dufourcq, C.E. (1981); *La vie quotidienne dans l'Europe Medievale sous Domination Arabe*, imprimerie Cino del Duca, Biarritz.
- Haikal, Ahmed (1964); *Andalusian Literature from the Conquest to the fall of the Caliphate*, Dar Al-Maarif, Cairo, 1st ed.
- al-Hajji, Abdurahman (1969); *Andalusiaat*, Dar al-Irshad, Beirut, 1st ed.
- al-Hajji, Abdurahman Ali (1969); *Diplomatic Relations between al-Andalus and the Franks*, *Islamic Quarterly*, Islamic Cultural Center London 13.2, April-June pp. 121-122
- Hamouda, Ali Muhammad. (1957); *The Political History of Al-Andalus*, the Arab Book House, Cairo.
- al-Hayek, Simon. (n.d); *Abdulrahman II*, Police Press, Beirut.
- Herskovits, Melville (1974); *Fundamentals of Cultural Anthropology*, translated by Rabah Nafakh, Ministry of Culture, Damascus.

- al-Ḥumaydī, Abū Muḥammad ibn Abī Naṣr Fattūḥ al-‘Azdī (d. 488/1095)(1997); *Jadhwat al-muqtabas fī dhikr wulāt al-andalus*, Rawḥiyyah ‘Abd al-Raḥmān al-Suyūfī, ed. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- al-Ḥumayrī, Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn ‘Abd Allāh (d. 900/1495)(1984); *al-Rawḍ al-mi‘ṭār fī akhbār al-aqtār*, Iḥsān ‘Abbās, ed. Beirut: Maktabat Lubnān.
- Hunke, Sigrid.(1986); *Shams Al-Arab Shines on the West*, translated to Arabic by Farouk Beydoun and Kamal el-Desouki, Dar al-Afaq, Beirut, 8th ed.
- Ibn al-Abbār, Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn ‘Abd Allāh al-Quḍā‘ī (d. 658/1249)(1985); *al-Ḥullah al-siyarā’*, Ḥusayn Mu’nis, ed. Cairo: Dār al-Ma‘ārif.
- Ibn Abī Uṣaybi‘ah, Muwaffaq al-Dīn, (d. 668/1270)(1965); *‘Uyūn al-anbā’ fī ṭabaqāt al-aṭibbā’*, Nizār Riḍā, ed. Beirut: Maktabat al-Ḥayāh.
- Ibn ‘Adhārī, Abū ‘Abd Allāh al-Marākishī (d. 712/1312)(1998); *al-Bayān al-mughrib fī akhbār al-andalus wa-al-maghrib*, G. S. Colin and Évariste Lévy-Provençal, eds. Beirut: Dār al-Taḳāfah.
- Ibn ‘Adhārī, Abū ‘Abd Allāh al-Marākishī (d. 712/1312)(2013); *al-Bayān al-mughrib fī akhbār al-andalus wa-al-maghrib*, Bashshār ‘Awwād and Maḥmūd Bashshār ‘Awwād, eds. Tūnis: Dār al-Gharb al-Islāmiyyah.
- Ibn al-Faraḍī, Abū al-Walīd, (d. 403/1012)(1988); *Tārīkh al-‘ulamā’ wa-al ruwāh lil-‘ilm bil-andalus*, corrected by ‘Izzat al-‘Aṭṭār. Cairo: Maktabat al-Khānghī.
- Ibn Jaljal Abū Dāwūd Sulaymān ibn Hassān (d. 377/ 1987)(1955); *Ṭabaqāt al-aṭibbā’ wa-al-ḥukamā’*, Fu’ād al-Sayyed, ed. Cairo: al-Ma‘had al-‘Ilmī al-Faransī lil-Āthār al-Sharḳiyyah.
- Ibn Khaldūn, ‘Abd al-Raḥmān (d. 808/1405)(2003); *al-‘Ibar wa-dīwān al-mubtada’ wa-al-khabar fī ayyām al-‘arab wa-al-‘ajam wa-al-barabar wa-man ‘āṣarahum min dhawī al-sulṭān al-akbar*. Beirut: Dār Ibn Ḥazm lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr.
- Ibn al-Khaṭīb, Lisān al-Dīn (d. 776/1376) (n. d.); *Niḡāḍat al-ghurāb fī ‘ilālat al-ightirāb*, Aḥmad Mukhtār al-‘Abbādī, ed. and commentary. Baghdād: Dār al-Shu‘ūn al-Thaqāfiyyah.
- Ibn Khaṭīb, Abū ‘Abd Allāh Muḥammad al-Tilimsānī (d. 776/1376)(1929); *al-Lamḥah al-badriyyah fī akhbār al-dawlah al-naṣriyyah*, Muḥibb al-Dīn ibn al-Khaṭīb, ed. and indexer. Cairo: al-Maṭba‘ah al-Salafiyyah.
- Ibn Khaṭīb, Abū ‘Abd Allāh Muḥammad al-Tilimsānī (d. 776/1376)(2001); *al-Iḥāṭah fī akhbār ghirnāṭah*, Muḥammad ‘Abd Allāh ‘Anān, ed. Cairo: Maktabat al-Khānjī.
- Ibn Ḥawqal, Abū al-Qāsim al-Nuṣaybī (d. 380/990)(1938); *Kitāb ṣūrat al-ārḍ (al-ma‘rūf bi-kitāb al-masālik wa-al-mamālik wa-al-mafāwiz wa-al-mahālik)*. Leiden: Brill.
- Ibn Ḥayyān, Abū Marwān Ḥayyān ibn Khalaf (d. 496/1076)(1973); *al-Muqtabas fī akhbār balad al-andalus*, Maḥmūd Makkī, ed. Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī.
- Ibn Ḥayyān, Abū Marwān Ḥayyān ibn Khalaf (d. 496/1076)(1979); *al-Muqatabs*, Shālmītā, ed.. Madrīd: al-Ma‘had al-Isbānī al-‘Arabī lil-Thaqāfah.
- Ibn Ḥazm, Abū Muḥammad ‘Alī (d. 456/1063)(1987); *Ṭawq al-ḥamāmah fī al-ulfah wa-al-ullāf*, Iḥsān ‘Abbās, ed. Beirut: al-Mu’assasah al-‘Arabiyyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr.
- Ibn Ḥazm, Abū Muḥammad ‘Alī (d. 456/1063)(1991); *Jamharat ansāb al-‘arab*, ‘Abd al-Salām Hārūn, ed. Cairo: Dār al-Ma‘ārif.
- Ibn al-Nadīm, Abū al-Faraj Muḥammad (d. 380/990)(1996); *al-Fihrist*, Yūsuf ‘Alī Ṭawīl, commentary, Aḥmad Shams al-Dīn, index. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Ibn Manzūr, Muḥammad ibn Makram (d. 711/1311) (2004); *Lisān al-‘arab*. Beirut: Dār Ṣādir.
- Ibn al-Qūṭiyyah, Abū Bakr Muḥammad (d. 367/977)(1989); *Tārīkh ifṭitāh al-andalus*, Ibrāhīm al-Abyārī, ed. Beirut: Dār al-Kitāb al-Lubnānī.
- Ibn Sa‘d, ‘Urayb and Rabī‘ ibn Zayd (d. 370/980)– (1961); *Al-Anwā’*. Reinhardt Dozy, ed. Leiden: Brill.
- Ibn Sa‘īd, Abū al-Ḥasan ‘Alī (d. 685/1286) (1964); *al-Mugharrab fī ḥalā’ al-maghrib*, Ṣawqī Ḍayf, ed. Cairo: Dār al-Ma‘ārif.

- Ibn Sa'īd, Abū al-Ḥasan 'Alī (d. 685/1286)(1968); *Dhayl 'alā risālat Ibn Ḥazm fī faḍā'il al-andalus wa-ahlihā*, Introduction by Ṣalāh al-Dīn al-Munajjid. Cairo: Dār al-Kitāb al-Ḥadīthah.
- Ibn al-Ukhuwah, Muḥammad ibn Aḥmad al-Qurashī, (d. 729/1329)(1937); *Ma'ālim al-qurbah fī aḥkām al-ḥisbah*, Reuben Levy, ed. Cambridge: Cambridge University Press.
- al-Idrīsī, Abū 'Abd Allāh Muḥammad (d. 559/1165)(1989); *Nuzhat al-mushtāq fī ikhtirāq al-āfāq*. Beirut: Dār 'Ālam al-Kitāb.
- Jesus, Maria and Matthew Rubira (1999); *Andalusian Literature*, translated by Ashraf Daadour, Supreme Council of Culture, Cairo.
- Khalifa, Mohammad.(1998); *History of tJudaism*, Dar Quba, Cairo, 1st ed.
- al-Khashnī, Abū 'Abd Allāh Muḥammad (d. 361/971)(1989); *Quḍāt qurṭubuh*, Ibrāhīm al-Abyārī, ed. Beirut: Dār al-Kitāb al-Lubnānī.
- al-Khattabi, Muhammad al-Arabi (1988); *Medicine and Physicians in Islamic Andalus*, study, translations and texts, written and edited by Mohammad Al-Khattabi, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1st ed.
- Khilaf, Mohammad Abdalwahhab (1992); *History of the Judiciary in Andalusia from the Islamic Conquest to the End of the Fifth Hijri Eleventh AD Century*, The Modern Arab Institution, New Cairo, 1st ed.
- Kohailah, Obadah (1993); *The History of Christians in Al-Andalus*, Modern Islamic Press, Cairo, 1st ed.
- al-Kubaisi, Hamdan (1990); Al-Hakam Al-Mustansir Encouragement of the Scientific Movement in Al-Andalus, Baghdad, *Journal of the Arab Historian, General Secretariat of the Arab Historians Association*, 16th year, vols. 41-42, pp. 150- 154.
- Lane-Pool, Stanley (1960); *The Story of the Arabs in Spain*, translated by Ali Jarem, Dar al-Ma'arif, Cairo.
- Lévy-Provençal, Évariste (1979); *The Arab Civilization in Spain*, translated by Mahmoud Ali Makki, Dar al-Ma'arif, Cairo.
- Lévy-Provençal, Évariste (1990); *Islam in Morocco and Al-Andalus*, translated by Mohammed Salem and Mohammed Salah El-Din, University Youth Foundation, Alexandria,
- Lévy-Provençal, Évariste (1951); *Histoire de L'Espagne Musulmane*, Paris.
- al-Manasirah, Ezzeddine (1996); *Acculturation and Comparative Criticism - A Problematic Perspective*. Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut.
- al-Maqqarī, Aḥmad ibn Muḥammad (d. 1041/1631)(1997); *Nafḥ al-ṭīb min ghuṣn al-andalus al-raṭīb wa-dhikr wazīruhā Lisān al-Dīn ibn al-Khaṭīb*, Iḥsān 'Abbās, ed. Beirut: Dār Ṣādir.
- al-Marākīṣī, 'Abd al-Wāḥid ibn 'Alī (d. 647/1249)(1998); *'Ālam 'ajab fī talkhīṣ akhbār al-maghrib*, Khalīl 'Imrān al-Mansūr, ed. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- al-Mas'ūdī, Abū al-Ḥasan 'Alī (d. 346/956)(1989); *Murūj al-dhahab wa ma'ādin al-Jawhar*, Qāsim al-Rifā'ī, ed. Beirut: Dār al-Qalam.
- Moa'nis, Hussein (985); *Fajr al-Andalus*, Al-Dar al-Arabi, Jeddah.
- Moa'nis, Hussein (1986); *History of Geography and Geographers in Al-Andalus*, Madbouly Library, Cairo, 2nd ed.
- Mustafa, Ibrahim Muhammad (2013); *Embassies of Al-Andalus to the Kingdoms of Christian Catholic Europe (138-422 AH / 755-1031 AD)*, Library of Religious Culture, Cairo, 1st ed.
- Mustafa, Khazaal Yassin (2014); al-Khesyan in Andalusia in the Ages of the Principality and Caliphate 20, June, *Journal of Al-Farahidi Arts Mosul*, College of Education, vol. 20, June, pp. 439-414.
- al-Nabāhī, Abū al-Ḥasan 'Alī (d. after 793/1390)(1983); *Tārīkh quḍāt al-andalus*. Beirut: Dār al-Āfāq al-Jadīdah.
- Naseem, Joseph (1984); *The History and Civilization of the European Middle Ages*, University Youth Foundation, Alexandria.
- al-Ohali, Badriya Abdulaziz (2013); The Nationalism in the Writing of Al-Andalus History, *Journal of the Center for Research and Islamic Studies*, Faculty of Dar Al-Uloom, Cairo, vol.

- 39: 635-693.
- Palencia, Angel González (1955); *History of Andalusian Thought*, translated by Hussein Moa'nis, Library of Religious Culture, Port Said.
- Pidal, Ramon Mendez (1953); Spain as a Communication Link between Christianity and Islam, translated by Lotfī Abdelbadīe, *Journal of the Egyptian Institute for Islamic Studies* Madrid vol. 1.1, pp. 1-24.
- al-Qādī, Abū Yūsuf Ya'qūb ibn Ibrāhīm (d. 128/798)(n.d.); *Kitāb al-kharāj*. Beirut: Dār 'Ālam al-Ma'rifah.
- al-Qurtubī, 'Abd Allāh Muḥammad ibn Aḥmad ibn Faraj al-Anṣārī (d. 671/1273)(1980); *al-I'lām bi-mā fī dīn al-naṣārā min al-fasād wa-al-awhām wa-iḥḥār maḥāsini al-islām*, Aḥmad al-Saqqa, ed. Cairo: Maṭba'at al-Turāth al-'Arabī.
- al-Qurtubī, 'Abd Allāh Muḥammad ibn Aḥmad ibn Faraj al-Anṣārī (d. 671/1273)(2012); *Naqḍ kitāb tathlīth al-wahdāniyyah fī ma'rifat allāh*, Yūsuf al-Kallām and Nādiyāh al-Shurqāwī, ed. Cairo: Ṣafahāt lil-Dirāsāt wa-al-Nashr.
- Salem, al-Sayed Abdulaziz (1988); *History of Muslims and Their Antiquities in Al-Andalus*, Dar al-Nahdah, Beirut.
- Simonet. J. Francisco (1897); *Historia de los Mozarabes de Espana*, Madrid, Ediciones Turner.
- al-Suhaibani, Hamad bin Saleh (2002); Moral Weakness and its Impact on the fall of Nations, the Age of Sects' Kings in Al-Andalus as a Sample, Series of Islamic Forum, *Al-Bayan Magazine*, pp. 1-10.
- Thomas, Arnold (1970); *Preach to Islam*, translated by Hassan Ibrahim and others, Al-Nahdah Press, Egypt, 3rd ed.
- al-'Udhri, Aḥmad ibn 'Omar, (d. 478/1086)(n.d.); *Nuṣūṣ 'an al-andalus min kitāb tarṣī' al-akhbār wa-tanwī' al-āthār wa-al-bustān fī gharā'ib al-buldān wa-al-masālik ilī jamī' al-mamālik*, 'Abd al-'Azīz al-Ahwānī, ed. Madrīd: Ma'had al-Dirāsāt al-Islāmiyyah
- Vernet, Juan (1997); *The Favor of Al-Andalus over Western Culture*, translated from the Spanish by Nihad Reda, Dar Ashbiliah, Damascus, 1st ed.
- al-Wunshrīsī, Abū al-'Abbās Aḥmad, (d. 914/1508)(1981); *Al-Mi'yār al-mu'arrab wa-al-jāmi' al-mugharrab 'an fatāwā ahl afrīqiyyā wa-al-andalus wa-al-maghrib*, Maḥmūd Ḥajjī, ed. Wazārat al-Awqāf wa-al-Shu'ūn al-Islāmiyyah, al-Mamlakah al-Maghribiyyah.
- Zoman, Mohammad (n.d.); *Translation and the Influence of Acculturation*, University of Batna, Algeria.